قصص أسماء الله الحسنى

رُبَّانَانِ لِسَفِينَةٍ وَاحِدَةٍ؟!

صَفَا أَنَس

قصص أسماء الله الحسنى
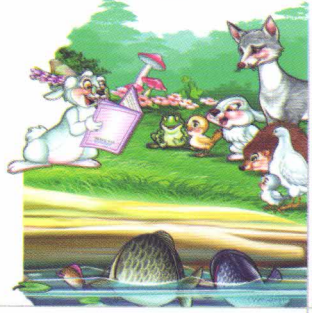
رُبَّانَانِ لِسَفِينَةٍ وَاحِدَةٍ؟!

صَفَا أَنَس

الكتاب الذي بين أيديكم يعلِّم الطفل أسماء الله الحسنى بأسلوب قصصي سهل يجري على ألسنة المخلوقات؛ من نباتاتٍ، وحيواناتٍ، وأجرامٍ سماويةٍ، كما يهدف الكتاب إلى تنشئة طفل يَعرف ربه عز وجل بأسمائه الحسنى.

يتعلم أولادنا بين سطور هذا الكتاب من أسماء الله الحسنى:

الْقَويّ، الْعَزيز، الْعَليّ، الْعَظيم، الْكَبير، الْمُتَعَالِ، الْمُتَكَبِّر، الْكَريم، الْفَرْد، الْوِتْر.

ISBN 978-9753156370

رُبَّانَانِ لِسَفِينَةٍ وَاحِدَةٍ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

قَصَص أَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنَى

(بِأَلْسِنَةِ الْمَخْلُوقَاتِ)

-٧-

رُبَّانَانِ لِسَفِينَةٍ وَاحِدَةٍ؟

تأليف

صفا أنس

رُبَّانان لِسفينة واحدة؟

قَصَص أسماء اللّٰه الحسنى

(بألسنة المخلوقات)

الطبعة الأولى: 1435 هـ - 2014 م

تحرير

يوكسل جلبنار

ترجمة

خالد جمال عبد الناصر

مراجعة

عبد المولى علي جربيع

تصحيح

د.عبد الجواد محمد الحردان

المخرج الفني

أنكين جيفجي

غلاف وتصميم

ياووز يلماز - أحمد شحاتة

رقم الإيداع ISBN:978-975-315-637-0

رقم النشر

513

IŞIK YAYINLARI

Bulgurlu Mah. Bağcılar Cad. No:1

34696 Üsküdar - İstanbul / Türkiye

Tel: +90 216 522 11 44 Faks: +90 216 650 94 44

دار النيل للطباعة والنشر

الإدارة: 22 ج- جنوب الأكاديمية- التسعين الشمالي

خلف سيتي بنك- التجمع الخامس- القاهرة الجديدة – مصر

Tel & Fax: 002 02 26134402-5

Mobile: 0020 1000780841

E-mail: daralnile@daralnile.com

مركز التوزيع: ٧ ش البرامكة - الحي السابع - مدينة نصر - القاهرة - مصر

Mobile: 0020 1141992888

فِهْرِسٌ

كَمْ أَنَا ضَعِيفٌ عَاجِزٌ!

اِنْتَهَى فَصْلُ الشِّتَاءِ الْقَارِسِ، وَجَاءَ الرَّبِيعُ بِكُلِّ جَمالِهِ، ذَابَتِ الثُّلُوجُ، وَتَكَوَّنَتِ الْجَدَاوِلُ الصَّغِيرَةُ، فَسَلَكَتْ طُرُقًا مُخْتَلِفَةً، وَالْتَقَتْ عِنْدَ الْبُحَيْرَةِ، حَتَّى امْتَلَأَتْ بِالْمِيَاهِ الْقَادِمَةِ مِنَ الْجَدَاوِلِ وَقِمَمِ التِّلَالِ،

وَسَعِدَتِ الْبُحَيْرَةُ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّ تَدَفُّقَ الْمِيَاهِ فِيهَا بِشَارَةٌ لَهَا بِالْأَيَّامِ الْمُزْهِرَةِ، وَهُوَ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ مَصْدَرُ غِذَاءٍ لِمَنْ يَعِيشُ فِيهَا.

اِنْتَعَشَتِ الْبُحَيْرَةُ، وَزَادَتِ الْحَرَكَةُ فِي قَاعِهَا؛ فَالْأَسْمَاكُ تَفْرَحُ بِالْغِذَاءِ الَّذِي تَحْمِلُهُ الْمِيَاهُ، ثُمَّ ابْتَسَمَتِ الْبُحَيْرَةُ، وَقَالَتْ لِلْأَسْمَاكِ الصَّغِيْرَةِ:

- اِنْتَبِهُوا يَا صِغَارُ! فَقَدْ يَكُونُ فِي الْأَطْعِمَةِ نُفَايَاتٌ ضَارَّةٌ.

كَانَتِ السَّمَكَةُ سِمْسِمَةُ تُفَكِّرُ فِي الْأَمْرِ ذَاتِهِ؛ إِذْ كَانَتْ تُنَبِّهُ الْأَسْمَاكَ الصَّغِيرَةَ مِرَارًا وَتَكْرَارًا، لَكِنْ دُونَ فَائِدَةٍ، وَاشْتَكَتْ إِلَى الْبُحَيْرَةِ قَائِلَةً:

- إِنَّهُمْ لَا يُصْغُونَ إِلَيَّ يَا صَدِيقَتِيَ الْبُحَيْرَةَ! يَا تُرَى! مَاذَا عَلَيْنَا أَنْ نَفْعَلَ؟!.

قَالَتِ الْبُحَيْرَةُ:

- يُمْكِنُكِ أَنْ تُخْبِرِي السَّمَكَةَ ذَاتَ الْقِشْرِ اللَّامِعِ؛ فَمِنَ الْمُحْتَمَلِ أَنْ يَخَافُوا مِنْهَا.

- يَا صَدِيقَتِي الْبُحَيْرَةَ! إِنَّهُمْ لَا يَعُونَ هَذَا؛ فَهُمْ صِغَارٌ، لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْخَطَأِ وَالصَّوَابِ، وَإِذَا أَخْبَرْتُ السَّمَكَةَ ذَاتَ الْقِشْرِ اللَّامِعِ فَإِنَّهَا قَدْ تُعَامِلُهُمْ بِقَسْوَةٍ.

- أَنْتِ مُحِقَّةٌ، إِذًا هَذِهِ هِيَ مُهِمَّتُكِ.

- حَسَنًا صَدِيقَتِي الْبُحَيْرَةَ! نَادِيهِمْ؛ لِيَجْتَمِعُوا.

اَلْبُحَيْرَةُ:

- حَسَنًا!.

وَاهْتَزَّتِ الْبُحَيْرَةُ فَحَدَثَتْ مَوْجَةٌ كَبِيرَةٌ، وَازْدَادَتِ الْفُقَاعَاتُ، وَخَافَتِ الْأَسْمَاكُ الصَّغِيرَةُ كَثِيرًا، وَحَاوَلَتِ الْبُحَيْرَةُ أَنْ تُهَدِّئَ مِنْ رَوْعِهَا، وَقَالَتْ:

- لَا تَخَافُوا يَا صِغَارُ! فَسَأَهْدَأُ الْآنَ.

غَضِبَتِ السَّمَكَةُ ذَاتُ الْقِشْرِ اللَّامِعِ، وَصَاحَتْ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ:

- هَلْ أَنْتِ مَنْ فَعَلَ هَذَا؟! أَلَا تَعْلَمِينَ أَنِّي نَائِمَةٌ؟!.

- سَامِحِينِي يَا صَدِيقَتِي!.

كَانَتِ السَّمَكَةُ ذَاتُ الْقِشْرِ اللَّامِعِ تُحِبُّ الشِّجَارَ كَثِيرًا؛ لِذَلِكَ طُرِدَتْ مِنَ الْبُحَيْرَةِ الصَّغِيرَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعِيشُ فِيهَا مِنْ قَبْلُ، لَكِنَّهَا عَادَتْ إِلَيْهَا مُنْذُ بِضْعَةِ أَيَّامٍ، لَكِنَّهَا لَمْ تَتَخَلَّ عَنْ سُلُوكِهَا السَّيِّئِ هَذَا، وَهَذِهِ الْبُحَيْرَةُ يَغْلِبُ عَلَيْهَا الْهُدُوءُ؛ فَلَا مَجَالَ فِيهَا لِلْمَخَاطِرِ.

نَادَتْهَا السَّمَكَةُ سِمْسِمَةُ قَائِلَةً:

- تَعَالَيْ؛ لِنَتَحَدَّثْ فِي مَكَانٍ هَادِئٍ، أُنْتَظِرُوا هُنَا يَا أَصْدِقَائِي! سَآتِيكُمْ بَعْدَ قَلِيلٍ.

اِصْطَحَبَتْهَا سِمْسِمَةُ إِلَى مَكَانٍ هَادِئٍ، وَقَالَتْ:
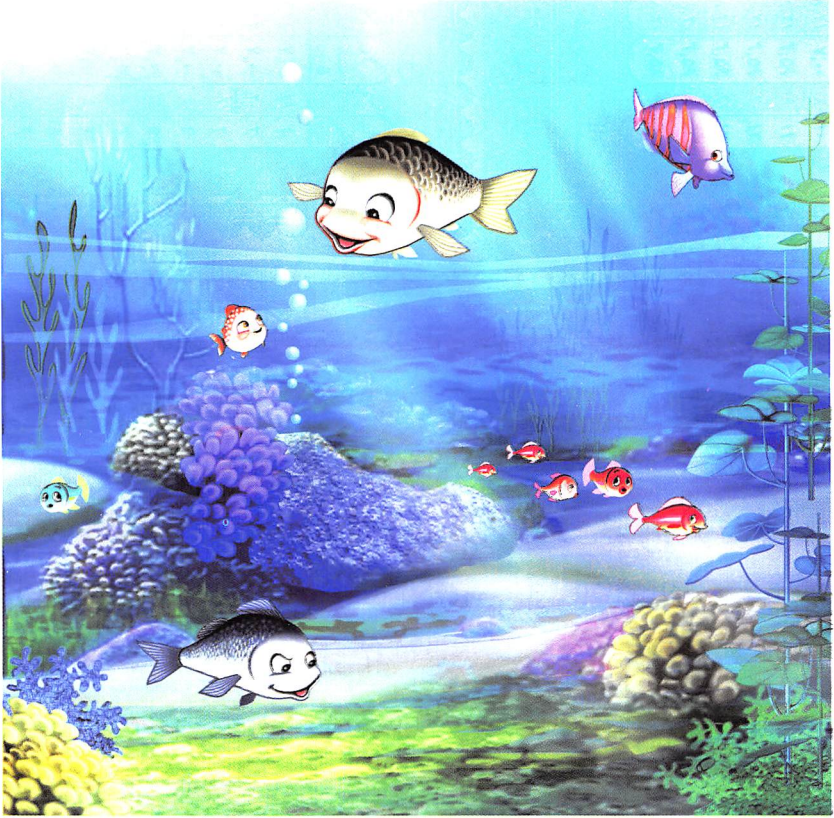
- يَـا ذَاتَ الْقِشْـرِ اللَّامِـعِ! أُرِيدُ أَنْ أُعْلِمَكِ أَنَّنَـا لَا نُحِبُّ هَذَا السُّلُوكَ، وَإِنْ لَمْ تَتَخَلَّ عَنْهُ فَارْحَلِي عَنَّا.

- مَاذَا فَعَلْتُ؟! لِمَ كُلُّ هَذَا؟!.

- أَنْتِ تَعْرِفِينَ جَيِّدًا مَاذَا فَعَلْتِ! لَا تَنْسَيْ أَنَّكِ قَضَيْتِ الشِّتَاءَ الْمَاضِيَ وَحِيدَةً فِي الْبُحَيْرَةِ الَّتِي كُنْتِ فِيهَا؛ فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَتَحَدَّثُ مَعَكِ، عُودِي إِلَيْهَا ثَانِيَةً إِنْ أَرَدْتِ قَبْلَ أَنْ يَذُوبَ الثَّلْجُ؛ لِأَنَّ الثَّلْجَ

إِذَا ذَابَ وَتَفَرَّقَتْ مِيَاهُهُ فَلَنْ تَسْتَطِيعِي الْعَوْدَةَ إِلَى الْبُحَيْرَةِ الصَّغِيرَةِ، حَتَّى وَلَو كُنْتِ تَرْغَبِينَ فِي ذَلِكَ.

طَأْطَأَتِ السَّمَكَةُ ذَاتُ الْقِشْرِ اللَّامِعِ رَأْسَهَا، وَقَالَتْ:

- إِنَّنِي أَوَدُّ الْبَقَاءَ هُنَا، وَلَا أَرْغَبُ فِي الرَّحِيلِ عَنْكُمْ.

- إِذًا أَرْجُوكِ أَنْ تَلْتَزِمِي بِالْقَوَانِينِ مَعَنَا؛ لِئَلَّا نَكُونَ نَمُوذَجًا سَيِّئًا لِلصِّغَارِ.

اَلسَّمَكَةُ ذَاتُ الْقِشْرِ اللَّامِعِ رَغْمًا عَنْهَا:

- حَسَنًا! سَأَنْتَبِهُ لِتَصَرُّفَاتِي مِنَ الْآنَ فَصَاعِدًا.

عَادَتِ السَّمَكَةُ سِمْسِمَةُ إِلَى الْأَسْمَاكِ الصَّغِيرَةِ، فَتَجَمَّعُوا حَوْلَهَا، وَسَلَّمَتْ عَلَيْهِنَّ وَاحِدَةً تِلْوَ الْأُخْرَى، ثُمَّ ابْتَسَمَتْ قَائِلَةً:

- لَقَدْ خِفْتُمْ قَلِيلًا أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟! فَالْحَيَاةُ كَمَا فِيهَا السَّعَادَةُ فِيهَا الْحُزْنُ؛ وَلَوْ أَطَالَ اللهُ عُمُرَكُمْ فَسَتَجِدُونَ حَيَاةً وَاسِعَةً تُوَاجِهُونَ فِيْهَا الْكَثِيرَ وَالْكَثِيرَ، وَمَا تَتَعَلَّمُونَهُ مِنْ سُلُوكِيَّاتٍ فِي هَذِهِ السِّنِّ فَسَيَكُونُ سَبَبًا فِي سَعَادَتِكُمْ أَوْ شَقَائِكُمْ فِيمَا بَعْدُ؛ فَاصْغُوا جَيِّدًا لِآبَائِكُمْ، وَلَا تَعْصُوا لَهُم أَمْرًا؛ لِأَنَّ الْمَخَاطِرَ تُحِيطُ بِنَا، فَانْتَبِهُوا لِأَنْفُسِكُمْ.

سَكَتَتِ السَّمَكَةُ سِمْسِمَةُ قَلِيلًا، وَنَظَرَتْ إِلَى الْأَسْمَاكِ الصَّغِيرَةِ، ثُمَّ أَكْمَلَتْ حَدِيثَهَا:

- إِنَّ قَـاعَ الْبُحَيْرَةِ مَلِيءٌ بِالنُّفَايَـاتِ الضَّارَةِ، وَإِيَّاكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا أَيَّ شَيْءٍ تَجِدُونَهُ؛ فَالْأَسْمَاكُ الْكَبِيرَةُ هِيَ الَّتِي سَتُخْبِرُكُمْ بِمَا يَنْبَغِي أَنْ تَأْكُلُوهُ.

سَمَكَةٌ صَغِيرَةٌ جَمِيلَةٌ:

- أَنَـا خَائِفَـةٌ جِـدًّا، لِمَـاذَا جِئْنَـا إِلَـى هَـذَا الْعَالَـمِ الْمَلِـيءِ بِالْمَخَاطِرِ؟!.

سَمَكَةٌ أُخْرَى:

- نَعَـمْ، إِنَّ صَدِيقَتِـي مُحِقَّةٌ فِيمَا تَقُولُ، لَقَدْ كُنَّا فِي رَاحَةٍ تَامَّةٍ دَاخِلَ الْبَيْضِ، وَمَا إِنْ خَرَجْنَا إِلَى هَذَا الْعَالَمِ حَتَّى أَصْبَحْنَا نَخَافُ مِنَ النُّفَايَاتِ الضَّارَةِ، وَنَهْرُبُ مِنَ الْأَسْمَاكِ الْكَبِيرَةِ، وَلَمْ نَعُدْ نَجِدُ رَاحَةً فِي هَذَا الْعَالَمِ.

اِبْتَسَـمَتِ السَّـمَكَةُ سِمْسِـمَةُ، فَقَدْ كَانَـتِ الْأَسْـمَاكُ الصَّغِيرَةُ لَطِيفَةً جدًّا، ثُمَّ قَالَتْ:

- لَا تَيْأَسُوا يَا أَطْفَالُ! فَإِنَّ لَذَّةَ الْحَيَاةِ تَكْمُنُ فِي تِلْكَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَرَوْنَهَا عَقَبَاتٍ، وَعِنْدَمَا تَكْبُرُونَ سَتَفْهَمُونَ ذَلِكَ جَيِّدًا.

كَانَتِ السَّـمَكَةُ ذَاتُ الْقِشْرِ اللَّامِعِ تَسْـمَعُ حَدِيثَهُمْ فِي خَفَاءٍ، وَتُحَاوِلُ انْتِهَازَ الْفُرْصَةِ لِتَحْرِيفِ مَا قَالَتْهُ السَّـمَكَةُ سِمْسِمَةُ؛ لِذَلِكَ

دَارَتْ حَـوْلَ الْأَسْـمَاكِ لِتُشْـعِرَهُمْ بِوُجُودِهَـا، وَفَهِمَـتِ السَّـمَكَةُ سِمْسِمَةُ مَا تُبَيِّتُهُ السَّمَكَةُ ذَاتُ الْقِشْرِ اللَّامِعِ مِنْ نِيَّةٍ سَيِّئَةٍ، فَأَرَادَتْ أَنْ تُحَذِّرَهَـا مِـنْ فِعْلِهَـا هَـذَا، لَكِنَّهَـا رَأَتْ أَلَّا تَتَشَـاجَرَ مَعَهَا أَمَامَ الصِّغَارِ، وَقَالَتْ فِي نَفْسِهَا:

– مِنَ الْأَفْضَلِ أَنْ أَغُضَّ الطَّرْفَ عَنْهَا الْآنَ.

فَشِـلَتِ السَّمَكَةُ ذَاتُ الْقِشْـرِ اللَّامِعِ فِي جَذْبِ الْأَنْظَارِ إِلَيْهَا، فَكَرَّرَتِ الْحَرَكَةَ ثَانِيَةً، وَلَكِنَّهَا فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ هَزَّتْ زَعَانِفَهَا وَذَيْلَهَا بِشَـكْلٍ أَقْـوَى وَأَسْـرَعَ، وَهُـوَ مَا أَثَـارَ الْمِيَاهَ فِـي نَاحِيَتِـهِ، وَأَزْعَجَ الْأَسْمَاكَ الْأُخْرَى.

تَمَالَكَتِ السَّـمَكَةُ سِمْسِمَةُ نَفْسَهَا بِصُعُوبَةٍ، وَخَافَتِ الْأَسْمَاكُ الصَّغِيرَةُ كَثِيرًا، وَاسْتَمَرَّتِ السَّمَكَةُ ذَاتُ الْقِشْرِ اللَّامِعِ فِي تَصَرُّفِهَا، وَعِنْدَمَا لَمْ تَجِدْ عِنْدَهُمْ صَدًى لِمَا فَعَلَتْهُ، سَأَلَتْ نَفْسَهَا قَائِلَةً: كَيْفَ يَتَجَاهَلُونَنِـي؟! ثُـمَّ قَامَتْ بِمُضَاعَفَةِ سُـرْعَتِهَا، وَهُوَ مَـا هَيَّجَ الْمِيَاهَ أَكْثَرَ مِنْ قَبْلُ.

وَقَدِ ازْدَادَ تَوَتُّرُ السَّمَكَةِ سِمْسِمَةَ كَثِيرًا، وَبَدَأَ صَبْرُهَا يَنْفَدُ، لَكِنْ عَلَيْهَا أَلَّا تَقَعَ فِي الْفَخِّ؛ فَالْوَاجِبُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ هُوَ الْهُدُوءُ.

اَلسَّمَكَةُ سِمْسِمَةُ:

– هَيَّا يَا صِغَارُ! لِنَرْحَلْ مِنْ هُنَا، فَالْمَكَانُ هُنَا تَكَدَّرَ.

اَلسَّمَكَةُ ذَاتُ الْقِشْرِ اللَّامِعِ:

- أَتَمَنَّى أَلَّا يَكُونَ عَقْلُكِ هُوَ الَّذِي تَكَدَّرَ!.

أَثَارَتْ هَذِهِ الْجُمْلَةُ غَضَبَ السَّمَكَةِ سِمْسِمَةَ، وَكَأَنَّ صَعْقَةً كَهْرَبَائِيَّةً أَصَابَتْهَا؛ فَقَالَتْ وَالْغَضَبُ ظَاهِرٌ عَلَى وَجْهِهَا:

- إِنَّكِ تَجَاوَزْتِ حَدَّكِ، فَقَدْ حَذَّرْتُكِ قَبْلَ قَلِيلٍ، وَالْآنَ أَرْجُوكِ أَنْ تَرْحَلِي مِنْ هُنَا؛ فَإِنَّ صَبْرِي قَدْ نَفِدَ.

- اَلْمُهِمُّ أَلَّا يَنْفَدَ مَاءُ الْبُحَيْرَةِ، وَلَيْسَ صَبْرُكِ.

- يَـا صَبُــورُ! يَـا اَللهُ! رَبِّ أَفْـرِغْ عَلَـيَّ صَبْرًا! قُولِـي لِي: مَاذَا تَسْتَفِيدِينَ مِنْ إِيذَاءِ الْآخَرِينَ؟!.

- إِنَّ سُلُوكِي لَيْسَ سَيِّئًا.

- حَسَـنًا! فَهِمْـتُ! إِنَّــهُ لَا يَنْفَـعُ مَعَـكِ الْأُسْـلُوبُ الْجَيِّدُ، إِذًا فَلْنَذْهَبِ الْآنَ، وَلْنَحُلَّ هَذِهِ الْمُشْكِلَةَ فِيمَا بَعْدُ.

أَخَافَـتْ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ السَّـمَكَةَ ذَاتَ الْقِشْـرِ اللَّامِعِ نَوْعًا مَا؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ تَحْمِلُ فِي طَيَّاتِهَا مَعْنَى التَّهْدِيدِ.

- مَا الَّذِي سَنَحُلُّهُ فِيمَا بَعْدُ؟!.

- سَتَعْرِفِينَ عَمَّا قَرِيبٍ.

اَلسَّمَكَةُ ذَاتُ الْقِشْرِ اللَّامِعِ فِي نَفْسِهَا: كَمْ هِيَ صَبُورَةٌ!.

فَشَـلَتِ السَّـمَكَةُ ذَاتُ الْقِشْـرِ اللَّامِـعِ فِـي الْوُصُـولِ لِغَايَتِهَا، إِنَّهَـا تَعْـرِفُ أَنَّهُ مِـنَ الْمُسْـتَحِيلِ أَنْ يَتَصَرَّفَ الْمَرْءُ بِشَـكْلٍ مَنْطِقِيٍّ وَهُوَ غَاضِبٌ؛ لِذَلِكَ اسْـتَخْدَمَتْ هَذِهِ الْحِيلَةَ، وَنَجَحَتْ فِي ذَلِكَ، لَكِنَّ السَّـمَكَةَ سِمْسِـمَةَ لَمْ تَقَعْ فِي هَذَا الْفَخِّ، وَلَمْ تَكُنْ مِثَالًا سَيِّئًا أَمَامَ الْأَسْمَاكِ الصَّغِيرَةِ، وَلَمْ تُقْحِمْ نَفْسَهَا فِي الْمَشَاكِلِ.

وَقَدْ عَلِمَتِ السَّـمَكَةُ ذَاتُ الْقِشْـرِ اللَّامِعِ أَنَّهَـا لَنْ تَتَمَكَّنَ مِنَ التَّحَكُّمِ فِي الْبُحَيْرَةِ دُونَ أَنْ تُهِينَ كَرَامَةَ السَّـمَكَةِ سِمْسِـمَةَ، لَكِنَّهَا

فَشِـلَتْ فِـي ذَلِكَ، وَمَا زَالَـتْ تَأْمُـلُ أَنْ تَجِدُ فُرْصَةً أُخْـرَى لِلْقِيَامِ بِذَلِـكَ، لَكِـنَّ عِبَـارَةَ "أَتَمَنَّى أَلَّا يَكُونَ عَقْلُكِ سَـبَبًا فِي شَـقَائِكِ" شَغَلَتْ بَالَهَا كَثِيرًا؛ إِنَّهَا كَانَتْ تُحَاوِلُ أَنْ تُغْضِبَ السَّمَكَةَ سِمْسِمَةَ، لَكِنَّ الْأَمْرَ انْقَلَبَ عَلَيْهَا.

- يَا تُرَى فِيمَ كَانَتْ السَّمَكَةُ سِمْسِمَةُ تُفَكِّرُ؟!.

وَبَيْنَمَا كَانَتِ السَّمَكَةُ ذَاتُ الْقِشْرِ اللَّامِعِ تُفَكِّرُ فِي هَذَا، رَحَلَتِ السَّـمَكَةُ سِمْسِـمَةُ مَعَ مَـنْ كَانَ مَعَهَـا، وَبَدَأَتْ بِمُسَـامَرَةٍ جَدِيدَةٍ، وَقَالَتْ لِلْأَسْمَاكِ الصَّغِيرَةِ:

- أَتَمَنَّـى أَلَّا تَكُونُـوا قَـدْ تَأَثَّرْتُمْ بِمَـا حَدَثَ، فَأَنَـا أَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَخَافُونَ مِنْ مِثْلِ تِلْكَ الْأُمُورِ.

اَلسَّمَكَةُ ذَاتُ الذَّيْلِ الْأَبْيَضِ:

- نَعَمْ، إِنَّهَا سَمَكَةٌ سَيِّئَةٌ.

- إِنَّ مَا قُلْتِهِ لَيْسَ جَيِّدًا؛ فَمِنَ الْخَطَأِ أَنْ نَغْتَابَ الْآخَرِينَ بِهَذَا الشَّكْلِ.

- أَنَا آسِفَةٌ جِدًّا، لَنْ أُكَرِّرَ هَذَا ثَانِيَةً.

- أَحْسَنْتِ، هَذَا هُوَ الْمُنْتَظَرُ مِنْ سَمَكَةٍ لَطِيفَةٍ مُؤَدَّبَةٍ مِثْلِكِ.

أَسْـعَدَتْ هَـذِهِ الْكَلِمَـاتُ السَّـمَكَةَ ذَاتَ الذَّيْـلِ الْأَبْيَـضِ، ثُمَّ نَظَرَتِ السَّمَكَةُ سِمْسِمَةُ بِسَعَادَةٍ إِلَى الْأَسْمَاكِ الصَّغِيرَةِ، وَقَالَتْ:

- سَوْفَ تُصْبِحُ بُحَيْرَتُنَا جَمِيلَةً وَنَظِيفَةً إِنْ شَاءَ اللهُ، فَالْأَيَّامُ الْجَمِيلَةُ تَنْتَظِرُكُمْ فِي هَذِهِ الْبُحَيْرَةِ.

- وَمَاذَا عَنِ الْمَخَاطِرِ؟.

- لَيْسَ هُنَاكَ مَكَانٌ خَالٍ مِنَ الْمَخَاطِرِ، فَلَا تَخْشَوْهَا، إِنَّهَا تَزِيدُ مِنْ مَهَارَاتِكُمْ، وَتَمْنَحُكُمُ التَّجْرِبَةَ فِي الْحَيَاةِ؛ فَرَبُّنَا ﷻ خَلَقَ لَنَا الْمَخَاطِرَ وَالْأَمَانَ، وَإِذَا مَا انْتَبَهْنَا لَهَا، وَتَجَنَّبْنَاهَا، وَاتَّبَعْنَا الْقَوَانِينَ، وَسِرْنَا بِحَذَرٍ فَلَنْ يُصِيبَنَا مَكْرُوهٌ بِإِذْنِ اللهِ.

- هَلْ هَذَا مَا فَعَلْتِهِ مُنْذُ قَلِيلٍ؟!.

اِلْتَفَتَتِ السَّمَكَةُ سِمْسِمَةُ إِلَى الْجَانِبِ الَّذِي أَتَى مِنْهُ الصَّوْتُ، فَالْتَقَتْ عَيْنَاهَا بِعَيْنَيِ السَّمَكَةِ ذَاتِ الْقِشْرِ اللَّامِعِ، وَقَالَتْ لَهَا:

- أَنْتِ ثَانِيَةً!.

- نَعَمْ أَنَا، أَلَا يُعْجِبُكِ الْأَمْرُ؟!.

- أَرْجُوكِ أَنْ تَتْرُكِينَا وَشَأْنَنَا.

- لَنْ أَسْمَحَ لَكِ أَنْ تَفْرِضِي سَيْطَرَتَكِ عَلَى هَؤُلَاءِ الصِّغَارِ.

- لَيْسَتْ هَذِهِ نِيَّتِي، مَا أُرِيدُهُ هُوَ أَنْ يَتَحَلَّوْا بِالْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ.

- اَلْأَخْلَاقُ الْحَسَنَةُ! أَنْتِ مَنْ سَيُعَلِّمُهُمْ إِيَّاهَا؟! إِذَا كَانَ هُنَاكَ مَنْ سَيُقْتَدَى بِهِ فِي الْأَخْلَاقِ فَهُوَ أَنَا.

- أَيُّ سُـلُوكٍ أَخْلَاقِـيٍّ سَـيَتَعَلَّمُونَهُ مِنْـكِ؟! أَتَعْتَقِدِيـنَ أَنَّـكِ سَـتَحْصُلِينَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ بِالْفَظَاظَةِ، إِنَّكِ تُثِيرِينَ الْمَشَاكِلَ دَائِمًا، فَبِأَيِّ شَيْءٍ أَنْتِ أَفْضَلُ مِنَّا؟!.

- أَنَا سَمَكَةٌ مِنْ نَوْعٍ غَالٍ، أَمَّا أَنتِ فَمِنَ السَّمَكِ الْعَادِيِّ.

- وَمَاذَا فِي ذَلِكَ؟!.

- إِنَّنِـي وُلِـدْتُ فِـي الْبَحْـرِ، أَيْ أَنَا سَـمَكَةٌ قَادِمَةٌ مِـنَ الْمِيَاهِ الْمَالِحَـةِ، وَعِنْدَمَـا خَرَجْـتُ لِلتَّنَـزُّهِ ضَلَلْـتُ الطَّرِيقَ، فَلَمْ أَسْـتَطِعِ الْعَـوْدَةَ إِلَى دِيَارِي ثَانِيَةً، وَبَدَأْتُ الْعَيْشَ فِـي الْبُحَيْرَةِ، أَتَرَيْنَ! إِنَّنِي يُمْكِنُنِي الْعَيْشَ فِي الْمِيَاهِ الْمَالِحَةِ وَالْعَذْبَةِ! فَهَلْ يُمْكِنُكِ الْعَيْشَ فِي مِيَاهِ الْبِحَارِ الْمَالِحَةِ؟!.

تَحَيَّرَتِ السَّمَكَةُ سِمْسِمَةُ، وَقَالَتْ:

- أَتَعْتَبِرِيـنَ الْقُـدْرَةَ عَلَى الْعَيْشِ فِي مِيَـاهِ الْبِحَارِ الْمَالِحَةِ هِيَ سَبَبُ الْأَفْضَلِيَّةِ؟!.

- نَعَمْ، إِنَّ الْبَحْرَ أَكْبَرُ مِنَ الْبُحَيْرَةِ، وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّ الْأَسْمَاكَ الَّتِي تَعِيـشُ فِي الْبِحَـارِ أَكْبَرُ وَأَعْلَى مَنْزِلَةً مِنَ الَّتِـي تَعِيشُ فِي الْبُحَيْرَةِ؛ لِذَلِكَ سَأَكُونُ أَنَا صَاحِبَةَ الْكَلِمَةِ فِي هَذِهِ الْبُحَيْرَةِ.

فِـي هَـذِهِ الْأَثْنَاءِ نَظَرَتْ سَـمَكَةٌ ضَخْمَةٌ بِغَضَبٍ إِلَى السَّـمَكَةِ ذَاتِ الْقِشْرِ اللَّامِعِ، وَقَالَتْ لَهَا:

- أَلَـمْ يَطْـرُدُوكِ مِنَ الْبُحَيْرَةِ الْأُخْرَى بِسَـبَبِ هَـذِهِ الْأَفْعَالِ؟! إِنَّكِ لَنْ تَسْتَطِيعِي أَنْ تَفْرِضِي نَفْسَكِ بِهَذَا الشَّكْلِ؛ فَأَخْلَاقُكِ تَسُوءُ يَوْمًـا بَعْـدَ يَوْمٍ، أُرِيدُكِ أَنْ تَعْلَمِي جَيِّدًا أَنَّهُ لَا أَحَدَ فِي هَذِهِ الْبُحَيْرَةِ يُحِبُّكِ.

غَضِبَتِ السَّـمَكَةُ ذَاتُ الْقِشْـرِ اللَّامِـعِ كَثِيرًا، وَأَخَـذَتْ تَغْدُو وَتَرُوحُ بِسُرْعَةٍ، وَصَاحَتْ بِأَعْلَى صَوْتِهَا:

- أَنْتُمْ مُجْبَرُونَ عَلَى حُبِّي!.

ثُمَّ دَخَلَتْ وَسَـطَ الْأَسْـمَاكِ الصَّغِيرَةِ بَسُـرْعَةٍ، وَهِيَ تَصْطَدِمُ بِمَنْ يَأْتِي أَمَامَهَا، وَقَالَتْ:

- أَنْتُمْ مُجْبَرُونَ عَلَى حُبِّي؛ لِأَنَّنِي أَفْضَلُ مِنْكُمْ.

اِشْتَدَّ غَضَبُ السَّمَكَةِ الضَّخْمَةِ، وَقَالَتْ:

- لِـمَ هَـذَا الْكِبْـرُ؟! اُنْظُرِي إِلَى جِسْـمِي، أَتَرَيْـنَ ذَيْلِي هَذَا؟! لَو ضَرَبْتُكِ بِهِ لَرَمَيْتُ بِكِ فِي الْيَابِسَةِ خَارِجَ الْبُحَيْرَةِ.

اِزْدَادَ خَـوْفُ الْأَسْـمَاكِ الصَّغِيرَةِ. فَاسْـتَجْمَعَتْ وَاحِـدَةٌ مِنْهُمْ قُوَاهَا، وَقَالَتْ:

- لَقَدْ سَـئِمْنَا هَذَا الشِّـجَارَ، لَمْ نَعُدْ نَرْغَبُ الْعَيْشَ فِي الْمِيَاهِ، وَنُرِيدُ الْعَيْشَ عَلَى الْيَابِسَةِ، فَعِيشُوا أَنْتُمْ فِي الْبُحَيْرَةَ، وَلْنَرْحَلْ نَحْنُ يَا صِغَارُ!.

اِبْتَسَمَتِ السَّمَكَةُ سِمْسِمَةُ، وَمَازَحَتْهَا قَائِلَةً:

- إِنَّ الْيَابِسَةَ هَادِئَةٌ جِدًّا، سَتَلْهَوْنَ وَتَرْكُضْنَ هُنَاكَ.

- أَجَلْ، سَنَرْكُضُ وَنَلْهُو، وَلِمَ لَا؟! فَعَلَى الْأَقَلِّ لَنْ نَجِدَ السَّمَكَةَ ذَاتَ الْقِشْرِ اللَّامِعِ هُنَاكَ.

لَمْ تَتَمَالَكِ السَّمَكَةُ ذَاتُ الْقِشْرِ اللَّامِعِ نَفْسَهَا مِنْ شِدَّةِ الْغَضَبِ، فَقَالَتِ:

- اُنْظُـرِي أَيَّتُهَـا الصَّغِيـرَةُ! إِنَّ لِسَـانَكِ أَطْوَلُ مِنْكِ، سَـأَقْطَعُهُ لَكِ الْآنَ!.

اِخْتَبَأَتِ السَّـمَكَةُ الصَّغِيرَةُ وَرَاءَ السَّـمَكَةِ سِمْسِـمَةَ، فَأَشْفَقَتِ السَّمَكَةُ الْكَبِيرَةُ عَلَيْهَا، وَصَاحَتْ قَائِلَةً:

- اِرْحَلِي مِنْ هُنَا أَيَّتُهَا السَّمَكَةُ ذَاتُ الْقِشْرِ اللَّامِعِ! وَإِلَّا!.

- وَإِلَّا مَاذَا؟!.

تَدَخَّلَتِ السَّمَكَةُ سِمْسِمَةُ:

- اِهْدَئِـي يَـا أُخْتَاهُ! فَنَحْنُ لَا نُرِيدُ شِـجَارًا؛ لِئَلَّا نُفْسِـدَ هُدُوءَ الْبُحَيْرَةِ.

- وَقَـدْ أَصْبَـحَ الْمَكَانُ لَا يُطَاقُ مُنْذُ أَنْ جَاءَتِ السَّـمَكَةُ ذَاتُ الْقِشْرِ اللَّامِعِ إِلَى هُنَا، فَلْتَعُدْ مِنْ حَيْثُ أَتَتْ؛ فَنَحْنُ لَا نُرِيدُهَا بَيْنَنَا.

لَمْ تَتَخَلَّ السَّمَكَةُ ذَاتُ الْقِشْرِ اللَّامِعِ عَنْ غَطْرَسَتِهَا، وَقَالَتْ:

- أَنْتُـمْ لَا تُرِيدُونَنِـي بَيْنَكُـمْ؛ لِكَوْنِـي أَفْضَـلَ مِنْكُـمْ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟!.

نَفِذَ صَبْرُ السَّـمَكَةِ الْكَبِيرَةِ، فَطَوَتْ ذَيْلَهَا ثُمَّ ضَرَبَتِ السَّـمَكَةَ ذَاتَ الْقِشْرِ اللَّامِعِ ضَرْبَةً قَوِيَّةً فَطَارَتْ فِي الْهَوَاءِ مِنْ شِدَّةِ الضَّرْبَةِ، وَسَقَطَتْ عَلَى حَافَّةِ الْبُحَيْرَةِ.

حَزِنَتِ السَّمَكَةُ سِمْسِمَةُ مِنْ صَنِيعِ السَّمَكَةِ الْكَبِيرَةِ، وَقَالَتْ لَهَا:

- مَاذَا فَعَلْتِ يَا أُخْتَاهُ؟!.

- حَدَثَ مَا حَدَثَ، إِنَّنِي لَمْ أَتَمَالَكْ نَفْسِي، وَأَنَا آسِفَةٌ يَا صِغَارُ! فَقَدْ أَفْزَعْتُكُمْ!.

- كَانَ عَلَيْكِ أَنْ تَتَحَلَّيْ بِالصَّبْرِ مَهْمَا كَانَ الْأَمْرُ، فَالسَّمَكَةُ ذَاتُ الْقِشْرِ اللَّامِعِ سَتَمُوتُ عَمَّا قَلِيلٍ.

إِحْدَى الْأَسْمَاكِ الصَّغِيرَةِ:

- لَقَدْ تَخَلَّصْنَا مِنْهَا، فَلْتَعِشْ هُنَاكَ عَلَى الْيَابِسَةِ.

اَلسَّمَكَةُ سِمْسِمَةُ:

- اَلْأَسْمَاكُ لَا تَعِيشُ عَلَى الْيَابِسَةِ يَا صَغِيرَتِي! لِأَنَّهَا لَيْسَتْ مُؤَهَّلَةً لِذَلِكَ، عَلَيْنَا أَنْ نُنْقِذَهَا عَلَى الْفَوْرِ، إِنَّهَا لَنْ تَتَحَمَّلَ الْبَقَاءَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ.

اَلسَّمَكَةُ الْكَبِيرَةُ فِي حُزْنٍ شَدِيدٍ:

- أَنَا مَنْ فَعَلْتُ هَذَا بِهَا؟ وَعَلَيَّ أَنْ أُصَحِّحَ خَطَئِي وَأُنْقِذَهَا.

صَرَخَتِ السَّمَكَةُ سِمْسِمَةُ فِي وَجْهِ السَّمَكَةِ الْكَبِيرَةِ قَائِلَةً:

- كَيْفَ سَتُنْقِذِينَهَا؟! إِنَّنِي رَأَيْتُ الضِّفْدَعَةَ عَلَى حَافَّةِ الْبُحَيْرَةِ، فَلْنُنَادِهَا.
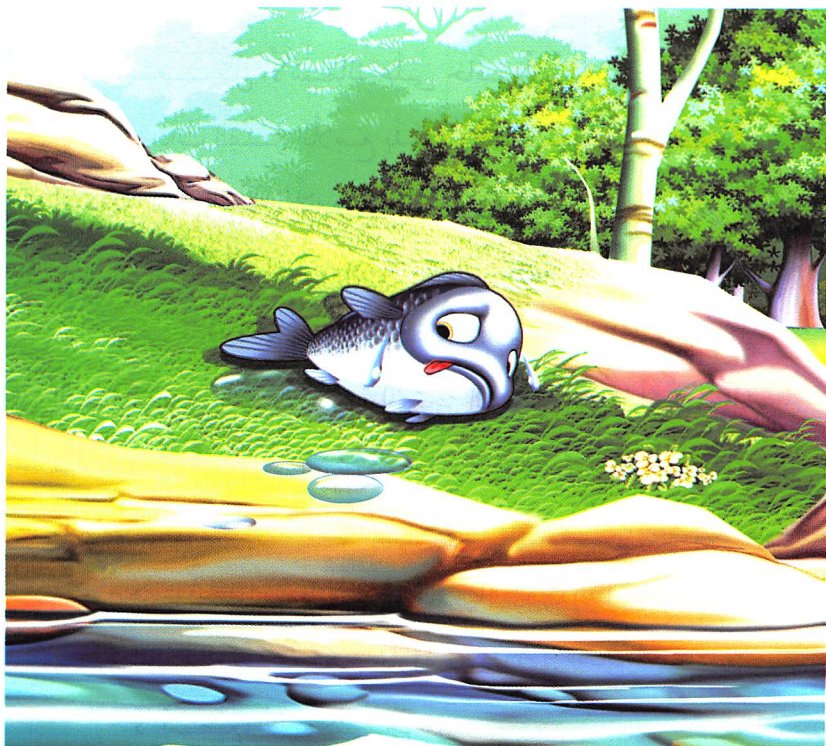
ذَهَبَتِ السَّمَكَةُ سِمْسِمَةُ مُسْرِعَةً، فَإِذَا الضِّفْدَعَةُ بِجِوَارِ السَّمَكَةِ ذَاتِ الْقِشْرِ اللَّامِعِ بِمُجَرَّدِ أَنْ عَلِمَتْ بِالْأَمْرِ، وَكَانَتِ السَّمَكَةُ ذَاتُ الْقِشْرِ اللَّامِعِ تَتَنَفَّسُ بِصُعُوبَةٍ، وَاغْرَوْرَقَتْ عَيْنَاهَا بِالدُّمُوعِ، وَهِيَ تُحَاوِلُ الْقَفْزَ إِلَى الْمَاءِ لَكِنَّهَا لَا تَقْدِرُ، وَعِنْدَمَا رَأَتِ الضِّفْدَعَةَ إِلَى جِوَارِهَا، تَوَسَّلَتْ إِلَيْهَا قَائِلَةً:

- أَرْجُوكِ أَنْ تُلْقِينِي فِي الْبُحَيْرَةِ، أَكَادُ أَمُوتُ؛ فَأَنْفَاسِي تَقِلُّ، وَأَشْعُرُ بِدُوَارٍ فِي رَأْسِي.

تَجَمَّعَتْ كُلُّ الْأَسْمَاكِ عَلَى حَافَّةِ الْبُحَيْرَةِ، فَنَظَرَتْ إِلَيْهِمُ السَّمَكَةُ ذَاتُ الْقِشْرِ اللَّامِعِ بِدَهْشَةٍ، وَأَخَذَتِ الضِّفْدَعَةُ ذَيْلَ السَّمَكَةِ ذَاتِ الْقِشْرِ اللَّامِعِ بِفَمِهَا، وَقَالَتْ لَهَا:

- تَمَالَكِي نَفْسَكِ، فَسَأَرْمِيكِ إِلَى الْبُحَيْرَةِ بَعْدَ قَلِيلٍ.

نَفِدَتْ طَاقَةُ السَّمَكَةِ ذَاتِ الْقِشْرِ اللَّامِعِ، وَلَمْ تَعُدْ قَادِرَةً عَلَى التَّحَرُّكِ، وَحَاوَلَتِ الضِّفْدَعَةُ أَنْ تَجُرَّ السَّمَكَةَ لَكِنَّهَا لَمْ تَسْتَطِعْ، فَقَامَتِ الْأَسْمَاكُ الْأُخْرَى بِتَحْفِيزِ الضِّفْدَعَةِ لِتَزِيدَ مِنْ قُوَّتِهَا قَائِلَاتٍ:

- هَيَّا يَا أُخْتَاهُ! تَسْتَطِيعِينَ جَرَّهَا، هَيَّا! قَرِّبِيهَا إِلَيْنَا وَسَنُسَاعِدُكِ!.

صَاحَتِ الضِّفْدَعَةُ وَهِيَ غَارِقَةٌ فِي عَرَقِهَا:

- لَا أَسْتَطِيعُ، لَا يُمْكِنُنِي جَرُّهَا.

أَثْنَاءَ ذَلِكَ انْخَفَضَ مُعَدَّلُ تَنَفُّسِ السَّمَكَةِ ذَاتِ الْقِشْرِ اللَّامِعِ بِشَكْلٍ كَبِيرٍ، وَتَلَفَّتَتِ الضِّفْدَعَةُ يَمِينًا وَيَسَارًا بَاحِثَةً عَنْ أَحَدٍ يُسَاعِدُهَا، لَكِنَّهَا لَمْ تَجِدْ أَحَدًا.

بَدَأَتِ السَّمَكَةُ الْكَبِيرَةُ تَبْكِي، ثُمَّ بَكَى بَاقِي الْأَسْمَاكِ، وَدَعَتِ السَّمَكَةُ سِمْسِمَةُ رَبَّهَا قَائِلَةً:

- اَللَّهُمَّ يَا **مُتَعَالِ** سَاعِدْنَا! اَللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْهَا تَمُوتُ هَكَذَا! فَهُنَاكَ الْكَثِيرُ مِمَّا لَمْ تَتَعَلَّمْهُ بَعْدُ، لَا تُمِتْهَا قَبْلَ أَنْ تَعْرِفَكَ حَقَّ

الْمَعْرِفَـةِ، وَتُصْلِـحَ أَخْطَاءَهَـا، إِنَّمَا أَمْرُكَ إِذَا أَرَدْتَ شَـيْئًا أَنْ تَقُولَ لَـهُ كُنْ فَيَكُونُ؛ فَقُدْرَتُكَ لَا حَدَّ لَهَا حَتَّى إِنَّنَا لَا يُمْكِنُنَا أَنْ نُدْرِكَهَا، وَقُدْرَتُكَ لَا تُقَارَنُ بِقُدْرَةِ أَحَدٍ، إِنَّكَ أَنْتَ **الْمُتَعَالِ**، وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ **قَدِيرٌ**، نَرْجُوكَ أَنْ تُسَاعِدَنَا.

ثُـمَّ عَـادَتِ السَّـمَكَةُ سِمْسِـمَةُ إِلَى الْبُـكَاءِ، وَقَفَزَتِ السَّـمَكَةُ الْكَبِيرَةُ فِي مَكَانِهَا، ثُمَّ قَالَتْ:

- دَعِينَـا مِنَ الْبُكَاءِ، وَلْنَقْتَرِبْ مِنْ حَافَّةِ الْبُحَيْرَةِ أَكْثَرَ، وَادْفَعِي يَا أُخْتِي الضِّفْدَعَةَ السَّمَكَةَ ذَاتَ الْقِشْرِ اللَّامِعِ نَحْوَنَا.

لَا تَـزَالُ الضِّفْدَعَـةُ تُحَاوِلُ جَرَّ السَّـمَكَةِ ذَاتِ الْقِشْـرِ اللَّامِعِ، فَقَالَتْ لَهَا السَّمَكَةُ الْكَبِيرَةُ:

- لَا تُحَاوِلِـي جَرَّهَـا يَا أُخْتِي الضِّفْدَعَـةَ! اِدْفَعِي جَنْبَهَا نَحْوَنَا كَمَـا قُلْتُ لَكِ، ضَغَطَتِ الضِّفْدَعَـةُ قَدَمَيْهَا عَلَى الْأَرْضِ وَحَاوَلَتْ دَفْعَهَـا، وَنَجَحَـتِ الْخُطَّةُ أَخِيـرًا، إِذْ بَدَأَتْ تُدَحْرِجُهَـا نَحْوَ الْمَاءِ، وَاسْـتَمَرَّتْ فِي ذَلِكَ إِلَى أَنْ أَوْصَلَتْهَا إِلَى الْمَاءِ، وَقَامَتِ الْأَسْـمَاكُ بِجَرِّهَـا دَاخِـلَ الْبُحَيْـرَةِ، ثُـمَّ فَتَحَتِ السَّـمَكَةُ ذَاتُ الْقِشْـرِ اللَّامِعِ عَيْنَيْهَا، وَحَمِدُوا **اللهَ** تَعَالَى لِأَنَّهُ أَنْقَذَهَا.

بَعْدَ قَلِيلٍ اسْتَيْقَظَتِ السَّمَكَةُ ذَاتُ الْقِشْرِ اللَّامِعِ، لَكِنَّ السَّمَكَةَ

الْكَبِيرَةَ لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَنْظُرَ فِي عَيْنَيْهَا، شَعَرَتِ السَّمَكَةُ ذَاتُ الْقِشْرِ اللَّامِعِ بِهَذَا فَاقْتَرَبَتْ مِنْهَا، وَقَالَتْ:

- لَا تَحْزَنِي يَا أُخْتَاهُ! فَهَذَا مَا كُنْتُ أَسْتَحِقُّهُ مِنْ قَبْلُ.

اَلسَّمَكَةُ الْكَبِيرَةُ:

- سَامِحِينِي يَا أُخْتِي! لَقَدْ آذَيْتُكِ، وَكِدْتِ تَمُوتِينَ بِسَبَبِي.

- عَلَيَّ أَنْ أَطْلُبَ مِنْكُمُ السَّمَاحَ، لَقَدْ أَسَأْتُ مُعَامَلَتَكُمْ، وَالْآنَ تَعَلَّمْتُ كَمْ أَنَا كَائِنٌ ضَعِيفٌ عَاجِزٌ.

خَجِلَتِ السَّمَكَةُ الْكَبِيرَةُ كَثِيرًا، وَلَمْ تَتَمَالَكْ نَفْسَهَا، وَقَالَتْ: كَيْفَ ضَرَبْتُ نَفْسًا؟! إِنَّنِي لَنْ أُسَامِحَ نَفْسِي؛ لِأَنَّهُ كَانَ عَلَيَّ أَلَّا أَفْعَلَ هَذَا مَهْمَا حَدَثَ، وَجَاءَتِ السَّمَكَةُ ذَاتُ الْقِشْرِ اللَّامِعِ أَمَامَ الْجَمِيعِ وَوَعَدَتْهُمْ قَائِلَةً:

- أَعِدُكُمْ بِأَنِّي لَنْ أَتَكَبَّرَ عَلَيْكَمْ بَعْدَ الْيَوْمِ، وَلَنْ أُخِيفَ أَحَدًا وَلَنْ أُزْعِجَهُ.

كَانَتِ الضِّفْدَعَةُ تَلْهَثُ مِنَ التَّعَبِ، فَالْتَفَتَتْ إِلَى السَّمَكَةِ ذَاتِ الْقِشْرِ اللَّامِعِ، وَقَالَتْ:

- نَعَمْ، يَنْبَغِي أَلَّا تَقُولِي لِأَحَدٍ أَنَّكِ أَفْضَلُ مِنْهُ؛ فَالْأَفْضَلِيَّةُ لَيْسَتْ بِالْكَلَامِ، وَلَا بِالْحَسَبِ وَالنَّسَبِ، وَلَا بِالْجَمَالِ وَالْغِنَى، إِنَّمَا الْأَفْضَلِيَّةُ بِالتَّقْوَى.

سَأَلَتْهَا السَّمَكَةُ ذَاتُ الْقِشْرِ اللَّامِعِ:

- مَا مَعْنَى التَّقْوَى؟.

كَتَمَتِ الضِّفْدَعَةُ أَنْفَاسَهَا، وَأَجَابَتْهَا بِبُطْءٍ:

- فِي الْحَقِيقَةِ هَذِهِ مَسْأَلَةٌ تَحْتَاجُ إِلَى شَرْحٍ كَبِيرٍ، لَكِنَّنِي سَأَذْكُرُهَا لَكِ بِاخْتِصَارٍ، عَلَيْنَا أَلَّا نَتَكَبَّرَ عَلَى الْآخَرِينَ، وَأَنْ نُسَاعِدَ الْجَمِيعَ، وَلَا نُقَصِّرَ فِي عِبَادَتِنَا، وَنَحْمَدَهُ تَعَالَى عَلَى مَا أَعْطَانَا مِنْ نِعَمٍ كَثِيرَةٍ لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى.

لَمْ تَفْهَمْ إِحْدَى الْأَسْمَاكِ الصَّغِيرَةِ مَا قَالَتْهُ الضِّفْدَعَةُ؛ لِذَلِكَ قَاطَعَتْ حَدِيثَهَا، وَقَالَتْ:

- لِمَاذَا كَانَتِ السَّمَكَةُ ذَاتُ الْقِشْرِ اللَّامِعِ سَتَمُوتُ عَلَى الْيَابِسَةِ؟! أَلَمْ تَكُنْ تَسْتَطِيعُ الْعَيْشَ عَلَى الْيَابِسَةِ؟!.

اِلْتَفَتَتْ إِلَيْهَا الْأَسْمَاكُ، حَتَّى إِنَّ بَعْضَهَا غَضِبَ مِنْ مُقَاطَعَتِهَا حَدِيثَ الضِّفْدَعَةِ، وَتَدَخَّلَتِ الضِّفْدَعَةُ قَائِلَةً:

- لَا تَغْضَبُوا يَا أَصْدِقَاءُ! إِنَّهَا مَا زَالَتْ صَغِيرَةً، وَسَتَتَعَلَّمُ آدَابَ التَّعَامُلِ بِمُرُورِ الْوَقْتِ.

فَهِمَتِ السَّمَكَةُ الصَّغِيرَةُ خَطَأَهَا، فَحَزِنَتْ، لَكِنَّ الضِّفْدَعَةَ طَيَّبَتْ خَاطِرَهَا وَقَالَتْ:

- لَا دَاعِـي لِلْحُزْنِ، فَسَـتَتَعَلَّمِينَ كُلَّ شَـيْءٍ مَـعَ الْوَقْتِ، أَنْتِ تَسْـأَلْينَ لِمَـاذَا كَادَتِ السَّـمَكَةُ ذَاتُ الْقِشْـرِ اللَّامِـعِ تَمُـوتُ عَلَى الْيَابِسَةِ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟!.

- بَلَى.

- هَذَا بِسَبَبِ أَنَّ الْأَسْمَاكَ خُلِقَتْ لِتَعِيشَ فِي الْمَاءِ، **فَاللهُ** خَلَقَ لِكُلِّ كَائِنٍ مِيزَاتٍ خَاصَّةٍ بِهِ.

اِلْتَفَتَـتِ الضِّفْدَعَةُ إِلَى بَاقِي الْأَسْـمَاكِ الصَّغِيرَةِ بَعْدَ أَنْ أَنْهَتْ حَدِيثَهَا، وَقَالَتْ:

- أَمَا زِلْتُمْ تُرِيدُونَ الْعَيْشَ عَلَى الْيَابِسَةِ؟! إِذَا كُنْتُمْ تُرِيدُونَ، فَهَيَّا اخْرُجُوا! وَأَنَا سَأُسَاعِدُكُمْ عَلَى الْخُرُوجِ، وَلْنَرَ مَاذَا سَيَحْدُثُ لَكُمْ!.

فَهِمَتِ الْأَسْـمَاكُ الصَّغِيـرَةُ أَنَّ الضِّفْدَعَةَ تَتَهَكَّـمُ بِهِمْ، فَقَالَتْ جَمِيعًا قَوْلًا وَاحِدًا:

- لَا، لَا نُرِيدُ، نَحْنُ سَعِيدُونَ بِالْعَيْشِ فِي بُحَيْرَتِنَا.

اَلسَّمَكَةُ سِمْسِمَةُ:

- أَلَا تَعْلَمُونَ أَنَّ كُلَّ الْمَخْلُوقَاتِ لَهَا قُدْرَةٌ مَحْدُودَةٌ، وَ**اللهُ** ﷻ هُوَ وَحْدَهُ الَّذِي لَا حَدَّ لِقُدْرَتِهِ؛ فَهُوَ **الْمُتَعَالِ**، إِنَّهُ **قَدِيرٌ وَعَظِيمٌ** بِقَدْرٍ لَا نَسْتَطِيعُ تَخَيُّلَهُ، وَرَبُّنَا لَا يُمْكِنُ مُقَارَنَتُهُ بِمَخْلُوقَاتِهِ؛ فَقُوَّتُهُ وَقُدْرَتُهُ لَا حَدَّ لَهُمَا، وَهُوَ **الْمُتَعَالُ** الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.

لَمْ تكُنِ السَّمَكَةُ ذَاتُ الْقِشْرِ اللَّامِعِ تَعْرِفُ الْكَثِيرَ عَنِ **الْخَالِقِ** ﷻ، لَكِنَّهَا الْآنَ لَدَيْهَا رَغْبَةٌ كَبِيرَةٌ فِي التَّعَلُّمِ؛ لِذَلِكَ أَنْصَتَتْ بِإِمْعَانٍ إِلَى مَا تَقُولُهُ الضِّفْدَعَةُ، ثُمَّ قَالَتْ:

- أَفْهَمُ مِنْ كَلَامِكَ أَنَّ **اللهَ** ﷻ أَقْوَى مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟!

قَالَتِ الضِّفْدَعَةُ:

- إِنَّ **اللهَ** ﷻ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ؛ لِأَنَّ مِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى "**الْمُتَعَالِ**"، وَلَو كَانَ فِي الْبَشَرِ مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنْهُ، لَقَالُوا: فِي يَومٍ مَا سَتَضْعُفُ قُوَّتُهُ، لَكِنَّ ذَلِكَ لَا يَجُوزُ فِي حَقِّ **اللهِ** ﷻ، فَهُوَ مُنَزَّهٌ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ وَعَجْزٍ وَعَيْبٍ.

كَانَتِ السَّمَكَةُ ذَاتُ الْقِشْرِ اللَّامِعِ تَسْتَمِعُ إِلَى الضِّفْدَعَةِ بِإِعْجَابٍ كَبِيرٍ، فَكَّرَتْ فِي نَفْسِهَا مُتَسَائِلَةً: لَقَدْ ضَيَّعْتُ عُمْرِي هَبَاءً، كَمْ هُمْ مَحْظُوظُونَ لِأَنَّهُمْ عَرَفُوا **اللهَ الْعَظِيمَ** مُنْذُ صِغَرِهِمْ!

اَلضِّفْدَعَةُ:

- إِذَا أَدْرَكْنَا أَنَّ النَّقْصَ وَالْعَجْزَ وَالْعَيْبَ فِينَا، نَكُونُ قَدْ فَهِمْنَا اسْمَهُ تَعَالَى "**الْمُتَعَالِ**"، وَأَنَا أَيْضًا قَدْ أَدْرَكْتُ هَذَا مُؤَخَّرًا، لَقَدْ ضَيَّعْتُ كَثِيرًا مِنْ عُمْرِي هَبَاءً، فِي الْعَجْرَفَةِ وَإِيذَاءِ الْآخَرِينَ وَجَرْحِ مَشَاعِرِهِمْ، وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّنِي عَرِفْتُهُ مُؤَخَّرًا، فَإِنَّنِي الْآنَ فِي طُمَأْنِينَةٍ.

أَحَسَّتِ السَّمَكَةُ ذَاتُ الْقِشْرِ اللَّامِعِ بِرَاحَةٍ وَطُمَأْنِينَةٍ بَعْدَ أَنْ سَمِعَتْ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ، وَقَالَتْ:

- هَلْ أَنْتِ أَيْضًا كُنْتِ مِثْلِي مُتَكَبِّرَةً مُتَعَجْرِفَةً تُحِبِّينَ الشِّجَارَ؟!

لَكِنَّ الشَّخْصَ لَا يَتَذَكَّرُ عَجْزَهُ وَيَعُودُ إِلَى رُشْدِهِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَقْتَرِبَ مِنَ الْمَوْتِ.

اَلضِّفْدَعَةُ:

- لَا أُرِيدُ أَنْ أَتَذَكَّرَ مَا مَضَى، أَحْمَدُ **اللهَ الْمُتَعَالِ** الَّذِي هَدَانِي الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، وَنَجَّانِي مِمَّا كُنْتُ فِيهِ؛ لِأَنَّنِي عِنْدَمَا عَرَفْتُهُ عَرَفْتُ نَفْسِي، وَعِنْدَمَا أَحْبَبْتُهُ أَحْبَبْتُ كُلَّ شَيْءٍ، وَأَدْرَكْتُ عَظَمَتَهُ وَمَدَى عَجْزِي، وَعَلِمْتُ أَنَّهُ يَرَى مَا لَا نَسْتَطِيعُ رُؤْيَتَهُ وَيَعْلَمُ مَا لَا نَسْتَطِيعُ عِلْمَهُ، فَهُوَ **عَظِيمٌ مُتَعَالٍ**، وَمَا نَرَاهُ وَنَعْلَمُهُ هُوَ بِقَدْرِ مَا أَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ نَرَاهُ وَنَعْلَمَهُ.

كَانَتِ السَّمَكَةُ سِمْسِمَةُ تُنْصِتُ إِلَى الضِّفْدَعَةِ بِإِعْجَابٍ كَبِيرٍ، مَعَ أَنَّهَا كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ تَخَافُ مِنْهَا كَثِيرًا، وَالْكُلُّ كَانَ يَتَجَنَّبُ خُلُقَهَا السَّيِّئَ، وَيَنْفُرُ مِنْ غُرُورِهَا وَكِبْرِهَا، وَقَالَتْ فِي نَفْسِهَا:

- إِنَّ الْإِيْمَانَ نِعْمَةٌ كَبِيرَةٌ، وَقَدْ عَلِمْتُ مَرَّةً أُخْرَى أَنَّ الْإِيْمَانَ يَجْعَلُ الْإِنْسَانَ إِنْسَانًا، بَلْ يَجْعَلُهُ سُلْطَانًا، لَكِنَّ هَذِهِ الْمَقُولَةَ لَا تَخْتَصُّ بِالْبَشَرِ فَقَطْ، بَلْ تَعُمُّ الْكَائِنَاتِ كُلَّهَا، فَ"الْإِيْمَانُ" هُوَ دَوَاءُ كُلِّ الْأَمْرَاضِ وَالْعِلَلِ، وَهَا هِيَ السَّمَكَةُ ذَاتُ الْقِشْرِ اللَّامِعِ بَدَأَتْ تَشْعُرُ بِلَذَّةِ الْإِيمَانِ.

وَرَفَعَتِ السَّمَكَةُ سِمْسِمَةُ صَوْتَهَا دُونَ أَنْ تَشْعُرَ:

- أَشْكُرُكَ يا **مُتَعَالِ**! يا **اَللّٰهُ**!.

وَعِنْدَمَا اقْتَرَبَ مَنْ حَوْلَهَا نَحْوَهَا، قَالَتْ:

- لَا تُؤَاخِذُونِي، فَقَدْ شَرَدَ ذِهْنِي.

اَلسَّمَكَةُ ذَاتُ الْقِشْرِ اللَّامِعِ:

- إِنَّكِ تَذْكُرِينَهُ حَتَّى عِنْدَ شُرُودِ ذِهْنِكِ! كَمْ أَنْتِ مَحْظُوظَةٌ!.

اَلسَّمَكَةُ سِمْسِمَةُ:

- أَسْتَغْفِرُ اللّٰهَ! إِنَّنِي عَبْدٌ ضَعِيفٌ مِنْ عِبَادِ **اللّٰهِ** ﷻ، فَنَحْنُ كُلَّمَا أَدْرَكْنَا عَظَمَتَهُ، اسْتَمْتَعْنَا بِحَيَاتِنَا أَكْثَرَ، وَحِينَئِذٍ سَنَتَذَوَّقُ الطَّعْمَ الْحَقِيقِيَّ لِلسَّعَادَةِ، وَعَلَيْنَا أَنْ نَذْكُرَهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَلَا نَنْسَى أَنَّ **اللّٰهَ** ﷻ هُوَ **الْمُعْطِي الْخَالِقُ الْمُحْيِي**.

أَحَسَّتِ السَّمَكَةُ ذَاتُ الْقِشْرِ اللَّامِعِ بِطُمَأْنِينَةٍ أَكْثَرَ، وَقَالَتْ:

- أَشْكُرُكَ شُكْرًا كَثِيرًا يَا **مُتَعَالِ**! يَا **اَللّٰهُ**!.

لَمْ تَسْتَطِعِ السَّمَكَةُ ذَاتُ الْقِشْرِ اللَّامِعِ أَنْ تُكْمِلَ حَدِيثَهَا، وَبَدَأَتِ الدُّمُوعُ تَنْهَالُ مِنْ عَيْنَيْهَا، وَتَرَسَّخَتْ كَلِمَاتُ السَّمَكَةِ سِمْسِمَةَ -وَلَا نَنْسَى أَنَّ **اللّٰهَ** ﷻ هُوَ **الْمُعْطِي الْخَالِقُ الْمُحْيِي**- فِي عَقْلِهَا، ثُمَّ مَسَحَتِ الدُّمُوعَ مِنْ عَيْنَيْهَا، وَنَظَرَتْ إِلَى أَصْدِقَائِهَا نَظْرَةَ امْتِنَانٍ، وَقَالَتْ لَهُمْ:

- كَمْ نَحْنُ مَحْظُوظُونَ أَنَّ لَنَا رَبًّا **مُتَعَالِيًا**! يَسْـمَعُ كُلَّ شَـيْءٍ، وَيَـرَى كُلَّ شَـيْءٍ، وَيَعْلَمُ كُلَّ شَـيْءٍ، لَقَدْ عَرَفْتُهُ تَعَالَـى، وَتَعَلَّمْتُ اسْـمَهُ "**الْمُتَعَالِ**" بِفَضْلِكُمْ، فَمَهْمَا شَكَرْتُكُمْ لَا أُوَفِّيكُمْ مَا فَعَلْتُمُوهُ مِنْ أَجْلِي، أَدْعُو **الله** أَنْ يُسْعِدَكُمْ بِقَدْرِ مَا أَسْعَدْتُمُونِي.

هَـذِهِ الْكَلِمَاتُ جَعَلَتِ الْمِيَاهَ تَمُوجُ دَاخِلَ الْبُحَيْرَةِ، كَأَنَّ الْمَاءَ الْكَدِرَ قَدْ صَفَا.

مَنْ وَاهِبُ هَذِهِ النِّعَمِ؟

بَدَأَتِ الشَّمْسُ تُشْرِقُ لِتَعْرِضَ وَجْهَهَا الْجَمِيلَ الَّذِي أَخْفَتْهُ مُنْذُ شُهُورٍ، وَاخْضَرَّتِ الْأَعْشَابُ، وَتَفَتَّحَتِ الْأَزْهَارُ الْمُزْدَهِرَةُ بِالْأَلْوَانِ، وَأَوْرَقَتِ الْأَشْجَارُ، وَنَهَضَتِ الْكَائِنَاتُ الَّتِي كَانَتْ تَنَامُ

فِـي بَيَاتِهَا الشَّـتْوِيّ، وَبَدَأَتْ حَيَاةٌ جَدِيدَةٌ مَـعَ أَوَّلِ أَيَّامِ الرَّبِيعِ تُغَرِّدُ فَوْقَ التَّلِّ.

وَقَـدْ كَانَـتِ الصَّنَوْبَـرَةُ الصَّغِيرَةُ تَرْصُـدُ كُلَّ مَا يَـدُورُ حَوْلَهَا مِنْ تَغَيُّرَاتٍ لَحْظَةً بِلَحْظَةٍ، وَتَابَعَتْ كُلَّ مَا حَدَثَ بِمُتْعَةٍ وَاسْتِمْتَاعٍ، ثُمَّ قَالَتْ:

- وَسَـيَكُونُ هَذَا الْبَعْثُ فِي هَذَا الْجَوِّ السَّـعِيدِ بِشَـارَةً بِالْجَنَّةِ إِنْ شَاءَ **اللهُ**، جَزَى اللهُ كُلَّ عَبِيدِهِ الْجَنَّةَ بِفَضْلِهِ.

أَثَارَ هَذَا الدُّعَاءُ فِي ذِهْنِهَا سُؤَالًا: لِمَاذَا الْبَشَرُ بِهَذِهِ الْأَهَمِّيَّةِ؟! ثُمَّ أَجَابَتْ نَفْسَهَا:

- لِأَنَّ الْإِنْسَـانَ هُـوَ خَلِيفَةُ **اللهِ** فِـي الْأَرْضِ، وَ**اللهُ** خَلَقَ لَهُ كُلَّ مَظَاهِرِ الْجَمَالِ مِنَ الْمَجَرَّاتِ وَالْمَجْمُوعَةِ الشَّمْسِـيَّةِ، وَكُلَّ مَا فِي الْكَـوْنِ وَعَلَـى الْأَرْضِ، كَمَا أَنَّهُ مَنَحَنَا عَاطِفَةَ حُبِّ الْبَشَـرِ، فَعِنْدَمَا يُذْكَرُ الْبَشَرُ أَشْعُرُ وَكَأَنَّ سُرُورًا يَنْصَبُّ فِي قَلْبِي.

- اَلسَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أُخْتِي الصَّنَوْبَرَةَ!.

- وَعَلَيْكُمُ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ **اللهِ** وَبَرَكَاتُهُ.

رَدَّتِ السَّـلَامَ وَلَكِـنْ مَا زَالَ عَقْلُهَا مَشْـغُولاً بِمَـا خَطَرَ بِبَالِهَا مُنْذُ قَلِيلٍ.

- مَا لِي أَرَاكِ مُسْتَغْرِقَةً فِي التَّفْكِيرِ؟!.

- أَأَأَأَأ... هَلْ أَنْتِ أُخْتِي يَمَامَةُ؟!.

- نَعَمْ، أَنَا! وَهَلْ نَسِيتِنِي بِسُرْعَةٍ؟!.

- أَنَا آسِفَةٌ، لَا يُمْكِنُ أَنْ أَنْسَاكِ، كُنْتُ أَتَفَكَّرُ فِي مَلَكُوتِ **اللهِ**، فَقَدْ سَمِعْتُ حَدِيثًا شَرِيفًا عَنِ الْمُصْطَفَى ﷺ يَقُولُ: "**فِكْرَةُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سِتِّينَ سَنَةً**"، وَأَنَا فِي أَوْقَاتِ الْفَرَاغِ، أَتَفَكَّرُ فِيمَا أَبْدَعَ **اللهُ** مِنْ مَخْلُوقَاتٍ جَمِيلَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَفِي هَذَا الْكَوْنِ الَّذِي يَسِيرُ فِي عَظَمَةٍ وَتَنَاسُقٍ.

- أَنْتِ مُحِقَّةٌ يَا أُخْتَاهُ!.

نَظَرَتِ الصَّنَوْبَرَةُ الصَّغِيرَةُ حَوْلَهَا وَقَالَتْ:

- لِمَاذَا جِئْتِ بِمُفْرَدِكِ؟! أَيْنَ بَاقِي الْأَصْدِقَاءِ؟!.

- سَيَأْتُونَ بَعْدَ قَلِيلٍ، إِنَّهُمْ ذَهَبُوا لِلتَّعَرُّفِ عَلَى سَمَكَةٍ أَتَتْ حَدِيثًا إِلَى الْبُحَيْرَةِ الْمُجَاوِرَةِ لَنَا.

كَانَتِ الصَّنَوْبَرَةُ الصَّغِيرَةُ وَالْحَمَامَةُ يَمَامَةُ يَشْتَاقُ بَعْضُهُمَا بَعْضًا، فَوَقَفَا يُمْعِنَانِ النَّظَرَ إِلَى بَعْضِهِمَا الْبَعْضِ فِي صَمْتٍ بَعْضَ الْوَقْتِ، إِنَّ الشُّعُورَ بِالْحُبِّ وَالتَّحَابُبِ عَظِيمٌ جِدًّا، وَخَاصَّةً الْحُبُّ فِي **اللهِ**، فَهُوَ مُتْعَةٌ أُخْرَى، ثُمَّ كَسَرَتِ الصَّنَوْبَرَةُ الصَّغِيرَةُ حَاجِزَ الصَّمْتِ بِقَوْلِهَا:

- لِمَاذَا تَأَخَّرُوا يَا تُرَى؟!.

- إِنْ شِئْتِ فَلْتَذْهَبِي إِلَيْهِمْ، فَأَنَا أَيْضًا قَلِقَةٌ عَلَيْهِمْ.

- حَسَنًا!.

خَفَقَتْ يَمَامَةُ بِأَجْنِحَتِهَا قَلِيلًا ثُمَّ شَرَعَتْ فِي الطَّيَرَانِ، لَقَدِ اشْتَاقَتْ إِلَى التَّحْلِيقِ، فَرُؤْيَةُ الْأَرْضِ مِنْ أَعْلَى يُشْعِرُهَا بِمُتْعَةٍ كَبِيرَةٍ، كَمَا أَنَّهَا عِنْدَ رُؤْيَةِ تِلْكَ الْمَخْلُوقَاتِ الْجَمِيلَةِ تَتَذَكَّرُ الْخَالِقَ الْعَظِيمَ؛ لِذَلِكَ نَظَرَتْ إِلَى الزُّهُورِ مُخْتَلِفَةِ الْأَلْوَانِ، وَالْأَشْجَارِ مُخْتَلِفَةِ الْأَحْجَامِ، وَالطُّيُورِ الْمُغَرِّدَةِ، وَالْحَشَرَاتِ وَالْفَرَاشَاتِ الطَّائِرَةِ بِتَأَمُّلٍ وَتَفَكُّرٍ، إِنَّ هَذَا الْجَمَالَ الَّذِي يُبْهِرُ الْأَنْظَارَ، وَزُرْقَةَ مِيَاهِ الْبُحَيْرَةِ الْمُجَاوِرَةِ يُشْبِهُ لَوْحَةً رُسِمَتْ بِبَرَاعَةٍ وَإِبْدَاعٍ، فِي هَذَا الْعَالَمِ سَخَاءٌ وَكَرَمٌ لَا حُدُودَ لَهُمَا، وَرَوْعَةُ إِبْدَاعٍ فِي خَلْقِ الْأَشْيَاءِ؛ وَكَثْرَةُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الْجَمِيلَةِ الْبَدِيعَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ صَانِعَهَا قَادِرٌ عَلَى خَلْقِهَا هِيَ وَأَمْثَالِهَا بِسُهُولَةٍ وَيُسْرٍ، وَإِلَّا لَمَا كَانَتْ بِهَذَا الْعَدَدِ الْكَبِيرِ.

كَانَتْ يَمَامَةُ تُفَكِّرُ فِي كُلِّ هَذَا كُلَّمَا حَلَّقَتْ فِي السَّمَاءِ، وَفِي تِلْكَ الْأَثْنَاءِ رَأَتْ أَرْنَبًا يَتَخَبَّطُ عَلَى الْأَرْضِ، نَظَرَتْ إِلَيْهِ بِإِمْعَانٍ فَإِذَا بِهَا تَرَى ثُعْبَانًا قَدِ الْتَفَّ عَلَى قَدَمِهِ، ثُمَّ انْخَفَضَتْ قَلِيلًا، فَإِذَا هُوَ الْأَرْنَبُ "طُفَيْلٌ" ابْنُ الْأَرْنَبَةِ "الْحَكِيمَةِ"، نَزَلَتْ عَلَى الْفَوْرِ عَلَى غُصْنِ شَجَرَةٍ، وَصَاحَتْ قَائِلَةً:

- مَاذَا يَحْدُثُ هُنَا؟!.

لَمْ يَسْـمَعِ الْأَرْنَبُ الصَّوْتَ مِنْ شِـدَّةِ الْخَوْفِ، أَمَّا الثُّعْبَانُ فَلَمْ يُبَالِ بِالْأَمْرِ.

اَلثُّعْبَانُ:

- بَيْنَمَـا كُنْتُ أَتَشَـمَّسُ هُنَـا، جَاءَ وَوَطِئَنِـي بِقَدَمَيْـهِ بِوَقَاحَةٍ، فَفَزِعْتُ كَثِيرًا.

- يَبْدُو أَنَّكَ تُرِيدُ أَنْ تَنْتَقِمَ مِنْهُ! أَلَيْس كَذَلِكَ؟!.

- لَا بُدَّ أَنْ يَنَالَ جَزَاءَ مَا فَعَلَ.

اَلْأَرْنَبُ:

- لَـمْ أَتَعَمَّـدْ فِعْلَ هَذَا، إِنَّهُ كَانَ مُخْتَبِئًا تَحْتَ أَوْرَاقِ الشَّـجَرِ، فَتَعَذَّرَ عَلَيَّ رُؤْيَتُهُ.

قَالَ الثُّعْبَانُ بِغَضَبٍ:

- كَلَامُـكَ هَـذَا لَا يُخَفِّفُ مِنْ عِقَابِـكَ، كَانَ عَلَيْكَ أَنْ تُمْعِنَ النَّظَرَ جَيِّدًا، أَوْ تَتَعَرَّفَ عَلَيَّ مِنْ رَائِحَتِي، لَنْ تَفْلِتَ مِنَ الْعِقَابِ.

بَـدَأَ الثُّعْبَـانُ يَلْتَفُّ حَـوْلَ قَدَمِ الْأَرْنَبِ بِشِـدَّةٍ، فَقَـالَ الْأَرْنَبُ مِنْ شِدَّةِ الْأَلَمِ:

- أُتْرُكْنِي، أَرْجُوكَ! إِنَّكَ تُؤْلِمُنِي كَثِيرًا.

- بَعْدَ قَلِيلٍ لَنْ تَشْعُرَ بِشَيْءٍ يَا عَزِيزِي! فَعِنْدَمَا أَلُفُّ ذَيْلِي عَلَى فَمِكَ، لَنْ تَسْتَطِيعَ التَّنَفُّسَ، وَعِنْدَئِذٍ سَتَسْتَرِيحُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

ثُـمَّ أَرْخَـى الثُّعْبَـانُ ذَيْلَـهُ، فَأَحَـسَّ الْأَرْنَـبُ بِبَعْـضِ الرَّاحَةِ، وَاسْتَجْمَعَ قُوَاهُ لِلْهَرَبِ مِنَ الثُّعْبَانِ، عَلَيْهِ أَنْ يُفْلِتَ مِنْهُ فَجْأَةً، وَلَكِنَّ الثُّعْبَـانُ قَـدْ فَعَلَ هَـذَا عَنْ قَصْدٍ، فَهُـوَ يَعْلَمُ أَنَّ الْأَرْنَبَ سَـيُحَاوِلُ الْهَـرَبَ، وَفَجْأَةً لَفَّ الثُّعْبَانُ ذَيْلَهُ ثَانِيَـةً عَلَى رَقَبَةِ الْأَرْنَبِ الصَّغِيرِ، وَهَكَـذَا لَمْ يَعُـدْ لِلْأَرْنَبِ الصَّغِيرِ أَيُّ قُدْرَةٍ عَلَى الْهَرَبِ، وَبَعْدَ عِدَّةِ دَقَائِقَ أَحَسَّ بِضِيقٍ فِي التَّنَفُّسِ، وَبَدَأَ يَلْتَقِطُ أَنْفَاسَهُ بِصُعُوبَةٍ.

لَـمْ تَعْـرِفِ الْحَمَامَةُ يَمَامَةُ كَيْـفَ تَتَصَرَّفُ فِي هَـذَا الْمَوْقِفِ، وَلَـوْ ذَهَبَتْ لِطَلَبِ الْمُسَـاعَدَةِ مِنَ الْأَصْدِقَاءِ بِجِـوَارِ الْبُحَيْرَةِ رُبَّمَا تَأَخَّـرَتْ، وَلَا يُمْكِنُهَا أَنْ تَتَدَخَّلَ لِضَعْفِهَا؛ لِذَلِكَ تَوَسَّـلَتْ لِلثُّعْبَانِ قَائِلَةً:

- أَرْجُـوكَ لَا تَفْعَلْ هَذَا يَا أَخِي! فَسَـتَقْتُلُ نَفْسًـا، هَذِهِ النَّفْسُ غَالِيَـةٌ جِـدًّا، إِنَّهَا إِحْسَـانٌ كَبِيرٌ مِـنَ **اللهِ** "**الْكَرِيمِ**" عَلَـى مَخْلُوقَاتِهِ، أَرْجُوكَ أَنْ تَعُودَ إِلَى رُشْدِكَ.

تَجَاهَلَ الثُّعْبَانُ مَا تَقُولُهُ الْحَمَامَةُ، ثُمَّ رَدَّ عَلَيْهَا قَائِلًا:

- احْتَفِظِي بِهَـذِهِ الْمَوْعِظَـةِ لِنَفْسِـكِ، إِنَّ أَخْطَائِـي كَثِيـرَةٌ، وَمَا أَفْعَلُهُ بِالْأَرْنَبِ الْآنَ شَيْئًا لَا يُذْكَرُ.

تَابَعَتِ الْحَمَامَةُ يَمَامَةُ حَدِيثَهَا:

- إِنَّ مِـنْ أَسْـمَاءِ **اللهِ** تَعَالَـى **الْكَرِيـمَ** وهُوَ بِمَعْنَـى ''صَاحِبِ النِّعَمِ وَالْإِحْسَانِ''، وَرَبُّنَا ﷻ يُنْعِمُ وَيُعْطِي مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ الْإِحْسَانَ مِـنْ عِبَادِهِ؛ لِأَنَّ مِنْ أَسْـمَائِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى "**الْكَرِيـمَ**"، يُعْطِي كُلَّ خَلْقِـهِ مِـنْ نِعَمِهِ، هَلْ وَجَدْتَهُ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّـامِ قَدْ مَنَعَ عَنَّا الْمِيَاهَ أَوِ الْهَـوَاءَ؟! وَهَلْ مَنَعَ عَنْكَ شَـيْئًا مِـنْ نِعَمِهِ مَعَ أَنَّكَ مُذْنِبٌ؟! وَأَيُّ شَيْءٍ أَعْطَاهُ لِغَيْرِكَ وَلَمْ يُعْطِهِ لَكَ؟!.

لَـمْ يَتَأَثَّـرِ الثُّعْبَانُ بِهَذَا الْكَلَامِ، وَفِي هَـذِهِ الْأَثْنَاءِ ظَهَرَتْ عَلَى وَجْـهِ الْأَرْنَـبِ الصَّغِيرِ زُرْقَةٌ مِـنْ ضِيقِ التَّنَفُّسِ، لَكِـنَّ الْحَمَامَةَ لَمْ تَفْقِدْ أَمَلَهَا، فَقَالَتْ لِلثُّعْبَانِ:

- إِنَّ **اللهَ** يَمْحُـو خَطَايَـا الْمُذْنِـبِ، وَيَعْفُـو عَنْـهُ بِفَضْلِ اسْـمِهِ **الْكَرِيمِ**.

نَظَرَ الثُّعْبَانُ إِلَى الْحَمَامَةِ بِلَا مُبَالَاةٍ، وَقَالَ:

- حَسَنًا! لِيَغْفِرْ لِي هَذَا أَيْضًا.

- لَا تَقُـلْ هَـذَا يَا أَخِي! وَلَا تَسْـتَهِنْ بِمَا أَقُولُ، إِنَّهُ رَبُّكَ الَّذِي خَلَقَكَ، وَسَوَّاكَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، وَجَعَلَكَ بِهَذَا الشَّكْلِ، فَاحْمَدْهُ عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ، وَابْتَعِدْ عَنِ الْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ.

- لَقَـدْ مَلَلْـتُ مِـنْ كَلَامِـكِ، اِبْتَعِـدِي مِنْ هُنَـا وَإِلَّا سَـتَنَالِينَ سَخَطِي!.

كَانَتِ الْحَمَامَةُ مِنْ نَاحِيَةٍ تُحَاوِلُ أَنْ تَكْسِـبَ وَقْتًا، وَمِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى تَسْتَمِرُّ فِي الْحِوَارِ مَعَ الثُّعْبَانِ دُونَ أَنْ يَنْقَطِعَ أَمَلُهَا، فَقَالَتْ لَهُ:

- أَخِـي الثُّعْبَـانَ! أَنْصِـتْ إِلَـيَّ جَيِّدًا، مَنْ شَـكَرَ فَإِنَّمَا يَشْـكُرُ لِنَفْسِهِ، وَمَنْ جَحَدَ النِّعْمَةَ فَلْيَعْلَمْ بِأَنَّ **اللهَ** غَنِيٌّ عَنْهُ لَا يَحْتَاجُ لِشُكْرِ أَحَدٍ، وَكَرِيمٌ فِي عَطَائِهِ، فَهَيَّا يَا أَخِي! تُبْ وَارْجِعْ عَنْ هَذَا الْعِنَادِ.

لَـمْ يَتَأَثَّـرِ الثُّعْبَانُ بِـكُلِّ هَذَا، بَلْ عَلَى الْعَكْـسِ زَادَ مِنْ ضَغْطِهِ عَلَى قَدَمِ الْأَرْنَبِ.

وَفِـي النِّهَايَـةِ اسْـتَجْمَعَتِ الْحَمَامَةُ كُلَّ قُوَّتِهَـا وَهَجَمَتْ عَلَى الثُّعْبَانِ، وَضَرَبَتْهُ فِي رَأْسِهِ بِمِنْقَارِهَا، وَلَمْ يَكَدِ الثُّعْبَانُ يُصَدِّقُ بِأَنَّهَا هِـيَ الَّتِي فَعَلَـتْ هَذَا، فَقَدْ جُرِحَ، وَبَدَأَتْ رَأْسُـهُ وَعَيْنَـاهُ تَدُورَانِ، فَتَرَكَ طُفَيْلًا مُتَأَثِّرًا بِهَذَا الْأَلَمِ الْقَاتِلِ.

كَانَ الْأَرْنَـبُ غَائِبًـا عَـنِ الْوَعْـيِ، يَلْتَقِـطُ أَنْفَاسَـهُ بِصُعُوبَـةٍ، وَأَقْبَلَـتِ الْحَمَامَـةُ نَحْوَهُ، وَأَخَذَ الثُّعْبَانُ يَلْتَفِـتُ حَوْلَهُ بَعْدَ أَنْ أَفَاقَ مِنْ ضَرْبَتِهِ، فَاسْـتَدَارَ مِنْ وَرَاءِ الْحَمَامَةِ وَالْتَفَّ حَوْلَ قَدَمِهَا فَجْأَةً، ارْتَعَـدَ الْأَرْنَبُ الصَّغِيرُ كَثِيرًا، وَحَاوَلَتِ الْحَمَامَةُ الْفِرَارَ مِنْهُ، لَكِنَّهَا فَشِلَتْ فِي ذَلِكَ، وَظَهَرَ غَضَبُ الثُّعْبَانِ كَثِيرًا، وَعَصَرَ قَدَمَ الْحَمَامَةِ بِكُلِّ مَا أُوتِيَ مِنْ قُوَّةٍ، وَكَانَتِ الْحَمَامَةُ تَضْرِبُهُ هُوَ الْآخَرُ بِمِنْقَارِهَا كُلَّمَا سَنَحَتْ لَهُ فُرْصَةً.

لَكِـنَّ الْحَمَامَةَ لَمْ تَكُنْ لُقْمَةً سَـائِغَةً مِثْلَ الْأَرْنَبِ الصَّغِيرِ، بَلْ اسْـتَمَرَّتْ فِـي ضَرْبِهِ بِمِنْقَارِهَا، وَقَدْ تَأَلَّمَ الثُّعْبَـانُ حَتَّى أَرْخَى ذَيْلَهُ عَنْ قَدَمِ الْحَمَامَةِ، لَكِنَّ الْحَمَامَةَ لَمْ تَتَوَقَّفْ عَنْ ضَرْبِهِ حَتَّى شَعَرَتْ بِأَنَّ الثُّعْبَانَ قَدْ تَعِبَ؛ لِأَنَّهَا لَوْ اسْتَمَرَّتْ فِي ضَرْبِهِ لَمَاتَ.

وَلَكِنَّ الثُّعْبَانَ عِنْدَمَا رَأَى الْحَمَامَةَ تَوَقَّفَتْ عَنْ ضَرْبِهِ، أَخَذَ يَعْصِرُ قَدَمَهَا ثَانِيَةً، وَيَجْمَعُ السُّمَّ فِي فَمِهِ، لِكَي يَلْدَغَ الْحَمَامَةَ فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ، وَكَانَ الْأَرْنَبُ الصَّغِيرُ يَرَى مَا يَفْعَلُهُ الثُّعْبَانُ مِنْ مَكَانِهِ الْمُخْتَبِئِ بِهِ، وَفَهِمَ سُوءَ نِيَّةِ الثُّعْبَانِ عِنْدَمَا رَآهُ يُدْخِلُ لِسَانَهُ وَيُخْرِجُهُ، فَرَكَضَ بِسُرْعَةٍ نَحْوَ الْقُنْفِذِ النَّائِمِ تَحْتَ شَجَرَةٍ، وَطَلَبَ مِنْهُ الْمُسَاعَدَةَ.

فَاتَّجَـهَ الْقُنْفُـذُ مُسْـرِعًا وَانْقَـضَّ عَلَى الثُّعْبَـانِ، لَكِـنَّ الثُّعْبَانَ اسْـتَعَدَّ لِيَلْـدَغَ الْقُنْفُـذَ مِـنْ رَأْسِـهِ، لَكِـنَّ الْقُنْفُـذَ أَدْخَـلَ رَأْسَـهُ فِي قَوْقَعَتِهِ بِسُرْعَةٍ، وَأَدْخَلَ أَشْوَاكَهُ فِي فَمِ الثُّعْبَانِ، وَقَدْ تَرَكَ الثُّعْبَانُ الْحَمَامَةَ بَعْدَ أَنْ أَدْرَكَ أَنَّهُ لَنْ يَسْتَطِيعَ أَنْ يَقِفَ أَمَامَ الْقُنْفُذِ، وَهَرَبَ إِلَى الْجُحْرِ.

شَكَرَتِ الْحَمَامَةُ الْقُنْفُذَ قَائِلَةً:

- شُكْرًا لَكَ يَا أَخِي الْقُنْفُذَ.

- لَا تَشْكُرِينِي، وَلَكِنِ اشْكُرِي الْأَرْنَبَ الصَّغِيرَ، فَلَوْلَاهُ لَكُنْتُ نَائِمًا إِلَى الْآنَ.

لَمْ تَسْتَطِعِ الْحَمَامَةُ الْوُقُوفَ عَلَى قَدَمَيْهَا؛ لِأَنَّ قَدَمَهَا مَا زَالَتْ تُؤْلِمُهَـا، وَحَـزِنَ الْأَرْنَبُ الصَّغِيـرُ كَثِيرًا عَلَى مَا أَصَـابَ الْحَمَامَةَ، وَقَالَ لَهَا:

- هَلْ تَشْعُرِينَ بِالْأَلَمِ؟

الْحَمَامَةُ:

- لَا، إِنَّ قَدَمِـي هِـيَ الَّتِـي تُؤْلِمُنِي فَقَطْ، وَسَـيَزُولُ الْأَلَمُ عَنْ قَدَمِي بَعْدَ قَلِيلٍ بِإِذْنِ **اللهِ**.

تَابَعَتِ الْحَمَامَةُ حَدِيثَهَا قَائِلَةً:

- أَتعْلَمُ يَا أَخِي! إِنَّنِي أَحْزَنُ عَلَى مَا فَعَلْتُهُ بِهِ، عَلَيْنَا أَلَّا نُؤْذِيَ الْآخَرِينَ مَهْمَا كَانَ.

- مَا تَقُولِينَهُ صَحِيحٌ، لَكِنَّهُ يَسْتَحِقُّ هَذَا.

- لَكِنْ مِنَ الْمُؤَكَّدِ أَنَّ لَهُ نَوَاحِيًا إِيجَابِيَّةً؛ فَرَبُّنَا ﷻ لَمْ يَخْلُقْ شَيْئًا عَبَثًا.

نَظَرَتِ الْحَمَامَةُ إِلَى الْجُحْرِ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ الثُّعْبَانُ، وَقَالَتْ فِي حُزْنٍ:

- يَا تُرَى! هَلْ يَشْعُرُ الْمِسْكِينُ بِأَلَمٍ شَدِيدٍ؟!

- لَا تَحْزَنِي يَا أُخْتَاهُ! فَلَنْ يُصِيبَهُ مَكْرُوهٌ، إِنَّهُ سَيَتَحَسَّنُ بِإِذْنِ **اللهِ**؛ لِأَنَّ جُرُوحَهُ لَيْسَتْ خَطِيرَةً.

قَالَتِ الْحَمَامَةُ:

- أَنَا أَعْتَقِدُ أَنَّ مَا فَعَلَهُ كَانَ فِي لَحْظَةِ غَضَبٍ، وَلَو أَنَّهُ فَكَّرَ بِهُدُوءٍ عِنْدَمَا وَطِئَهُ الْأَرْنَبُ دُونَ قَصْدٍ، لَمَا وَصَلَ الْأَمْرُ إِلَى هَذَا الْحَدِّ.

قَالَ الْقُنْفُذُ:

- لَكِنَّهُ كَانَ سَيَلْدَغُكِ بِسُمِّهِ.

- لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ **اللهُ** لَنَا، إِنَّ وُجُودَكَ هُنَا فِي هَذَا الْوَقْتِ لَمْ يَكُنْ صُدْفَةً؛ فَرَبُّنَا هُوَ مَنْ أَرْسَلَكَ إِلَيْنَا، وَهُوَ "**الْكَرِيمُ**"

الَّذِي أَنْقَذَنَا، وَأَنْتَ مُجَرَّدُ سَبَبٍ لِإِنْقَاذِنَا، عَلَيَّ أَنْ أَشْكُرَكَ أَيْضًا؛ لِأَنَّكَ أَلْقَيْتَ نَفْسَكَ فِي الْخَطَرِ مِنْ أَجْلِ مُسَاعَدَتِنَا.

- كَمَا قُلْتِ يَا أُخْتِي الْحَمَامَةَ! نَحْنُ مُجَرَّدُ أَسْبَابٍ، وَمَا حَدَثَ كَانَ بِفَضْلِ **الْكَرِيمِ الْوَاسِعِ** رَبِّنَا ﷻ.

نَظَرَتِ الْحَمَامَةُ إِلَى الْقُنْفُذِ نَظْرَةَ امْتِنَانٍ، وَقَالَتْ لَهُ:

- مَا اسْمُكَ يَا أَخِي؟! إِنَّنَا إِلَى الْآنَ لَا نَعْرِفُ اسْمَكَ!.

تَبَسَّمَ الْقُنْفُذُ، وَقَالَ:

- لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ بِاسْمِي لَضَحِكْتُمْ عَلَيَّ، إِنَّهُ اسْمٌ اخْتَارَهُ لِي أَصْدِقَائِي لِلْفُكَاهَةِ، وَالْكُلُّ يُنَادِينِي بِهَذَا الِاسْمِ.

- هَيَّا! أَخْبِرْنَا بِهَذَا الِاسْمِ الْفُكَاهِيِّ.

لَمْ يَتَمَالَكِ الْقُنْفُذُ نَفْسَهُ مِنَ الضَّحِكِ، وَقَالَ:

- اسْمِي ذُو الشَّعْرِ النَّاعِمِ.

ضَحِكَ الْأَرْنَبُ وَالْحَمَامَةُ، وَرَدَّدَا فِي دَهْشَةٍ:

- ذُو الشَّعْرِ النَّاعِمِ!.

- أَلَمْ يُعْجِبْكُمُ اسْمِي؟! إِنَّهُ أَنْسَبُ اسْمٍ يُطْلَقُ عَلَى مَنْ لَهُ شَعْرٌ نَاعِمٌ مِثْلِي.
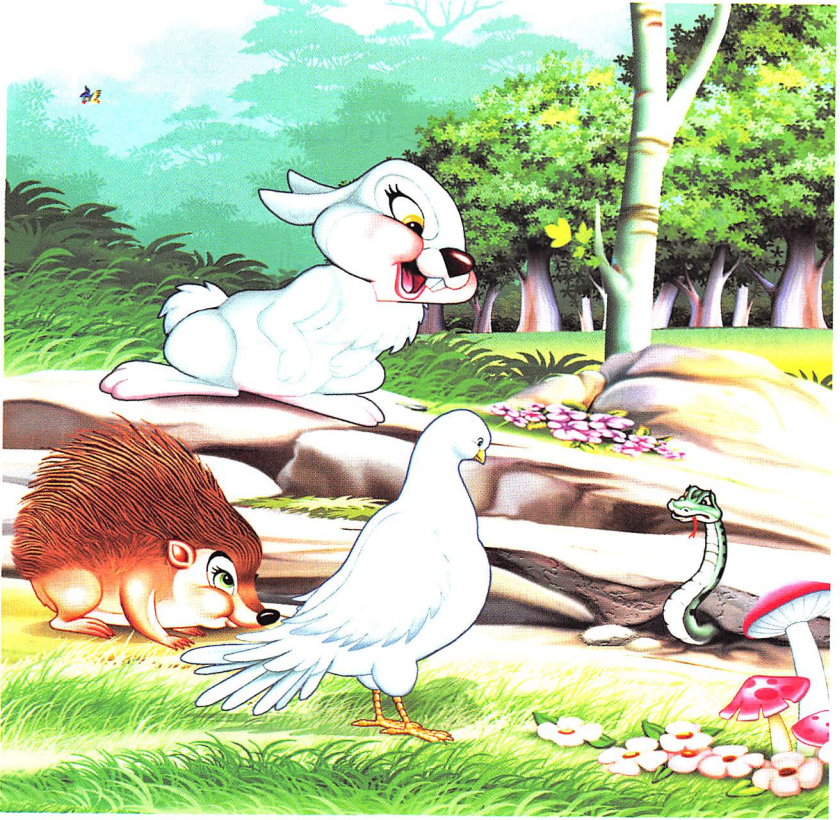
ثُمَّ أَخَذَ الْقُنْفُذُ يَضْحَكُ مَعَهُمْ، وَفِي هَذِهِ الْأَثْنَاءِ أَخْرَجَ الثُّعْبَانُ رَأْسَهُ مِنَ الْجُحْرِ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ قَبْلَ قَلِيلٍ، وَقَالَ غَاضِبًا:

- أَنَا مُتَأَكِّدٌ أَنَّكُمْ تَضْحَكُونَ لِمَا أَصَابَنِي! أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟! سَنَرَى هَلْ سَتَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَضْحَكُوا ثَانِيَةً بَعْدَ أَنْ أُخْبِرَ أَصْدِقَائِي بِمَا فَعَلْتُمُوهُ بِي.

اَلْحَمَامَةُ:

- لَقَدْ أَخْطَأْتَ فَهْمَنَا يَا أَخِي! فَنَحْنُ لَمْ نَكُنْ نَضْحَكُ عَلَيْكَ.

- لَا تَكْذِبِي، مِنَ الْوَاضِحِ جِدًّا أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَضْحَكُونَ عَلَيَّ.

- دَعْكَ مِنَ الْعَدَاوَةِ يَا أَخِي! فَكَمَا أَنَّ لَكَ أَصْدِقَاءَ فَإِنَّ لَنَا أَصْدِقَاءَ أَيْضًا، وَهُمْ كَثِيرُونَ عَلَى ضِفَّةِ الْبُحَيْرَةِ، لَوْ نَادَيْتُهُمْ لَأَوْسَعُوكَ وَأَصْدِقَاءَكَ ضَرْبًا، وَلَكِنْ مَا الْفَائِدَةُ مِنَ الْعَدَاوَةِ؟!.

بَدَا الْخَوْفُ عَلَى الثُّعْبَانِ، فَتَابَعَتِ الْحَمَامَةُ حَدِيثَهَا:

- أُنْظُرْ إِلَى الْعَالَمِ مِنْ حَوْلِكَ، كَمْ هُوَ وَاسِعٌ! رَبُّنَا **الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الْكَرِيمُ** قَدْ خَلَقَ لَنَا كُلَّ هَذِهِ النِّعَمِ الَّتِي لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى، وَزَيَّنَ الْعَالَمَ بِكُلِّ مَظَاهِرِ الْجَمَالِ الَّتِي تَتَرَاءَى مِنْ حَوْلِكَ؛ فَهَذِهِ النِّعَمُ لَا تَنْفَدُ، أُنْظُرْ إِلَى هَذَا الْمَرْعَى، كَمْ هُوَ وَاسِعٌ! إِنَّهُ يَسَعُ الْمَلَايِينَ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ أَمْثَالِنَا، كُلُّنَا نَتَشَارَكُ فِيهِ، فَمَا الدَّاعِي لِلشِّجَارِ فِيمَا بَيْنَنَا؟!.

تَأَثَّرَ الثُّعْبَانُ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْجَمِيلَةِ كَثِيرًا، لَكِنَّهُ حَاوَلَ أَنْ يُخْفِيَ هَذَا، فَأَدْخَلَ رَأْسَهُ فِي الْجُحْرِ كَيْلَا يَرَى أَحَدٌ وَجْهَهُ.

قَالَ الْقُنْفُذُ لِلْحَمَامَةِ:

- إِنَّكِ أَتْعَبْتِ نَفْسَكِ دُونَ دَاعٍ؛ إِنَّهُ لَنْ يَتَأَثَّرَ بِمَا تَقُولِينَ أَبَدًا.

تَبَسَّمَتِ الْحَمَامَةُ لِلْقُنْفُذِ، وَقَالَتْ:

- سَيَتَأَثَّرُ يَا أَخِي! لَا بُدَّ أَنَّهُ سَيَتَأَثَّرُ، وَكَمَا قَالَ أَجْدَادُنَا: ''الْكَلَامُ الْعَذْبُ يُخْرِجُ الثُّعْبَانَ مِنْ جُحْرِهِ''، هَذَا الْمَثَلُ لَمْ يُقَلْ مِنْ فَرَاغٍ.

- لَا أَعْتَقِدُ هَذَا، فَإِنَّ هَذِهِ الثَّعَابِينَ لَا تَفْهَمُ الْكَلَامَ الْعَذْبَ.

- لَا تَحْكُمْ عَلَيْهِ بِهَذَا الشَّكْلِ، كُلُّ مَا عَلَيْنَا فِعْلُهُ هُوَ أَنْ نُخْبِرَهُ بِالصَّحِيحِ، وَنُحَذِّرَهُ مِنَ الْخَطَأِ، وَالْعَاقِبَةُ **لِلَّهِ** ﷻ.

- أَنْتِ عَلَى حَقٍّ يَا أُخْتَاهُ!.

كَانَتِ الْحَمَامَةُ فِي هَذِهِ الْأَثْنَاءِ تَنْظُرُ إِلَى جُحْرِ الثُّعْبَانِ مِنْ بَعِيدٍ، وَهِيَ مُتَأَكِّدَةٌ أَنَّهُ يَسْمَعُهَا؛ لِذَلِكَ تَابَعَتْ كَلَامَهَا:

- إِنَّ مِنْ أَسْمَاءِ **اللهِ** تَعَالَى "**الْكَرِيمَ**"، وَهُوَ يَعْنِي أَنَّهُ **ذُو الْكَرَمِ وَالْإِحْسَانِ الْكَبِيرِ**، وَيَنْبَغِي أَنْ يَتَجَلَّى اسْمُ **الْكَرِيمِ** عَلَى عِبَادِهِ؛ لِذَلِكَ عَلَيْنَا أَنْ نُعِينَ الْآخَرِينَ وَنُسَاعِدَهُمْ وَنُكْرِمَهُمْ دُونَ مُقَابِلٍ، وَأَنْ نَعْفُوَ عَمَّنْ أَخْطَأَ فِي حَقِّنَا وَنَصْفَحَ عَنْهُ، وَأَنْ نُقَابِلَ السَّيِّئَةَ بِالْحَسَنَةِ، وَأَنْ نَعْمَلَ عَلَى تَرْكِ السُّلُوكِيَّاتِ السَّيِّئَةِ، وَأَلَّا نُؤْذِي الْآخَرِينَ.

دَخَلَ الثُّعْبَانُ فِي أَعْمَاقِ الْجُحْرِ خَجِلًا مِمَّا سَمِعَهُ، وَاسْتَمَرَّتِ الْحَمَامَةُ فِي كَلَامِهَا:

- إِنَّ كَرَمَ **اللهِ** وَعَفْوَهُ كَبِيرٌ جِدًّا لِمَنْ لَمْ يَنْقَطِعْ أَمَلُهُ مِنْهُ، فَلَوْلَا كَرَمُهُ تَعَالَى وَإِحْسَانُهُ لَمَا وَجَدْنَا لُقْمَةً وَاحِدَةً أَوْ قَطْرَةَ مَاءٍ قَطُّ.

كَانَ الْقُنْفُـذُ يَنْظُـرُ إِلَى الْحَمَامَـةِ بِإِعْجَابٍ كَبِيـرٍ، فَهُوَ لَمْ يَكُنْ يَعْـرِفُ كُلَّ مَـا تَحَدَّثَـتْ عَنْـهُ أَيْضًـا، بَلْ نَـدِمَ عَلَى مَا قَالَـهُ، وَفَهِمَ أَنَّ الثُّعْبَـانَ كَانَ يَتَصَـرَّفُ بِكُلِّ هَذَا مِنْ شِـدَّةِ جَهْلِـهِ، وَأَنَّهُ لَمْ يُفَكِّرْ مِنْ أُفُقٍ وَاسِـعٍ كَمَا فَعَلَتِ الْحَمَامَةُ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ عَلَى قَدْرٍ مِنَ الْعِلْمِ كَالْحَمَامَةِ.

اَلْحَمَامَةُ:

- يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَعْرِفَ **اللهَ** بِأَسْـمَائِهِ، فَإِنْ لَمْ يَعْرِفِ الْعَبْدُ رَبَّهُ بِأَسْـمَائِهِ، كَانَتِ الْعَلَاقَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ نَاقِصَةً؛ فَالْمُدَاوَمَةُ عَلَى ذِكْرِ **اللهِ** بِأَسْمَائِهِ شِفَاءٌ لِلْقَلْبِ.

تَوَقَّفَتِ الْحَمَامَةُ فَجْأَةً إِذْ خَطَرَ بِبَالِهَا شَيْءٌ، ثُمَّ قَالَتْ:

- مِـنَ الْمُؤَكَّـدِ أَنَّ الصَّنَوْبَـرَةَ الصَّغِيـرَةَ زَادَ قَلَقُهَـا عَلَيْنَا، مِنْ فَضْلِـكَ أَيُّهَـا الْأَرْنَبُ اذْهَـبْ إِلَى الصَّنَوْبَرَةِ وَاحْـكِ لَهَا مَا حَدَثَ، وَأَنَا سَأَلْحَقُ بِكَ مَعَ أَخِي الْقُنْفُذِ بَعْدَ قَلِيلٍ.

ذَهَبَ الْأَرْنَبُ لِإِخْبَارِ الصَّنَوْبَرَةِ، وَاتَّجَهَتِ الْحَمَامَةُ مَعَ الْقُنْفُذِ نَحْوَ حَافَةِ الْبُحَيْرَةِ، فَقَالَ لَهَا الْقُنْفُذُ:

- أَتَظُنِّيـنَ أَنَّ الثُّعْبَانَ سَـيَفْعَلُ مَا قُلْتِهِ؟! أَمْ سَـيَجْمَعُ أَصْدِقَاءَهُ لِلشِّجَارِ مَعَنَا؟!.

- لَا أَعْتَقِدُ هَذَا؛ لِأَنَّهُ نَدِمَ عَلَى مَا فَعَلَ أَيْضًا، لَكِنَّ كِبْرِيَاءَهُ جَعَلَهُ لَا يُظْهِرُ ذَلِكَ، عَلَى أَيَّةِ حَالٍ سَنَتْرُكُهُ يُفَكِّرُ مَعَ نَفْسِهِ، لَقَدْ أَدَّيْنَا الْوَاجِبَ عَلَيْنَا.

وَعِنْدَمَا وَصَلَا قُرْبَ الْبُحَيْرَةِ وَجَدَا مَجْمُوعَةً كَبِيرَةً مِنَ الْأَصْدِقَاءِ، اَلْعُصْفُورِ نُغَيْرٍ، وَالْأَرْنَبِ الْحَكِيمِ، وَبَاقِي الْأَصْدِقَاءِ، الْجَمِيعُ يَجْلِسُ عَلَى حَافَّةِ الْبُحَيْرَةِ، وَالْأَسْمَاكُ تُطِلُّ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبُحَيْرَةِ؛ وكَانَ الْأَرْنَبُ الْحَكِيمُ يَقْرَأُ عَلَيْهِمْ شَيْئًا.

- اَلسَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَصْدِقَاءُ.

اَلْجَمِيعُ:

- وَعَلَيْكُمُ السَّلَامُ.

اَلْحَمَامَةُ:

- هَذَا صَدِيقِي الْقُنْفُذُ، يُدْعَى ذَا الشَّعْرِ النَّاعِمِ.

ضَحِكَ الْجَمِيعُ لَمَّا سَمِعُوا هَذَا الِاسْمَ، فَأُحْرِجَتِ الْحَمَامَةُ كَثِيرًا مِنْ هَذَا، لَكِنَّ الْقُنْفُذَ لَمْ يُبَالِ، بَلْ نَظَرَ إِلَى الْحَمَامَةِ، وَقَالَ:

- لَقَدْ أَخْبَرْتُكِ أَنَّنِي اعْتَدْتُ ذَلِكَ، فَأَيُّ قُنْفُذٍ يَحْمِلُ هَذَا الِاسْمَ لَا بُدَّ أَنْ يُطِيقَ كُلَّ مَا سَيُلَاقِيهِ مِنْ مَوَاقِفَ.

ثُمَّ شَارَكَهُمْ الضَّحِكَ أَيْضًا، فَزَادَ ضَحِكُ الْجَمِيعِ.

عَدَّلَ الْأَرْنَبُ الْحَكِيمُ وَضْعَ نَظَّارَتِه، وَقَالَ:

- هَيَّا يَا أَصْدِقَائِي! لِنُكْمِلِ الْقِرَاءَةَ، كُنَّا نَقْرَأُ عَنِ اسْمِ **اللهِ** **"الْكَرِيمُ"** قَبْلَ مَجِيئِكُمْ.

بَدَا السُّرُورُ عَلَى الْحَمَامَةِ، وَفَكَّرَتْ فِي نَفْسِهَا قَائِلَةً:

- سُبْحَانَ **اللهِ**!.

اَلْقُنْفُذُ:

- نَعَمْ، سُبْحَانَ **اللهِ!** يَا لَهَا مِنْ مُصَادَفَةٍ!.

اَلْحَمَامَةُ:

- إِنَّهَا لَيْسَتْ مُصَادَفَةً بَلْ هِيَ مُوَافَقَةٌ، وَسَأَشْرَحُ لَكَ مَعْنَى الْمُوَافَقَةِ بَعْدَ الْمُسَامَرَةِ.

ثُمَّ الْتَفَتَتْ نَحْوَ الْأَرْنَبِ الْحَكِيمِ، وَقَالَتْ:

- لَا تُؤَاخِذْنِي يَا أَخِي! لَقَدْ قَاطَعْنَا حَدِيثَكُمْ، تَابِعْ مِنْ فَضْلِكَ.

أَخَذَ الْأَرْنَبُ الْحَكِيمُ يَقْرَأُ شَيْئًا فَشَيْئًا:

- تَعَالَ لِنَنْظُرْ إِلَى هَذِهِ الشَّجَرَةِ بِإِمْعَانٍ! فَهَا هُوَ فَصْلُ الرَّبِيعِ قَدْ أَقْبَلَ! لَقَدْ نَبَتَتْ أَوْرَاقُهَا الْخَضْرَاءُ، وَأَزْهَارُهَا الْجَمِيلَةُ، وَنَضِجَتْ ثِمَارُهَا بِحِكْمَةٍ وَكَرَمٍ مِنَ **اللهِ**، فَكُلُّ مَا فِي الْكَوْنِ مِنْ نِظَامٍ وَاتِّزَانٍ وَقِيَاسٍ بَدِيعٍ، وَكُلُّ مَا فِي الْكَائِنَاتِ مِنْ نَقْشٍ وَفَنٍّ وَأَلْوَانٍ وَأَذْوَاقٍ، وَرَائِحَةٍ فَوَّاحَةٍ فِي الْأَرْضِ أَوْ فِي السَّمَاءِ، هُوَ مِنْ فَضْلِ **اللهِ الْحَكِيمِ الْكَرِيمِ الرَّحِيمِ، ذِي الْفَضْلِ وَالْمِنَّةِ، الْمُعْطِي الرَّزَّاقِ.**

نَظَرَتِ الْحَمَامَةُ إِلَى مَنْ حَوْلَهَا وَاحِدًا تِلْوَ الْآخَرِ، فَإِذَا الْجَمِيعُ هَائِمٌ فِي التَّفْكِيرِ، ثُمَّ قَالَ الْأَرْنَبُ الْحَكِيمُ:

- أَمَلَلْتُمْ؟! أَتَوَقَّفُ إِنْ شِئْتُمْ؟!.

- نَرْجُوكَ أَكْمِلْ، لَا تَتَوَقَّفْ، مَا تَقْرَأُهُ عَلَيْنَا مُمْتِعٌ جِدًّا.

- إِنَّهُ سُبْحَانَهُ يُوَفِّرُ احْتِيَاجَاتِ كُلِّ الْكَائِنَاتِ، وَخَاصَّةً الضَّعِيفَةِ مِنْهَا، وَالصَّغِيرَةِ فِي الْمَاءِ وَالْهَوَاءِ بِطُرُقٍ عَظِيمَةٍ مُخْتَلِفَةٍ.

اِنْتَبَهَتِ الْأَسْمَاكُ الصَّغِيرَةُ أَكْثَرَ عِنْدَمَا سَمِعَتْ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ.

- يَخْلُقُ سُبْحَانَهُ تِلْكَ الْأَشْيَاءَ مِنَ الْبُذُورِ الْمُتَشَابِهَةِ، وَمِنْ قَطَرَاتِ الْمِيَاهِ، وَذَرَّاتِ التُّرَابِ؛ فَالْأَسَدُ الشَّرِسُ يَرْعَى صِغَارَهُ، وَصِغَارُ الْبَشَرِ وَالْحَيَوَانَاتِ تُغَذِّيهِمْ أُمَّهَاتُهُمْ بِلَبَنٍ صَافٍ يَخْرُجُ مِنْ ثَدْيِهَا، وَيُرْسِلُ اللهُ رِزْقَهُ إِلَى الْأَسْمَاكِ وَغَيْرِهَا مِمَّنْ يَعِيشُ فِي الْمَاءِ، وَيُزَيِّنُ وَيُجَمِّلُ الْيَابِسَةَ لِلْمَخْلُوقَاتِ الَّتِي تَعِيشُ عَلَيْهَا، وَيُوَفِّرُ لَهُمْ رِزْقَهُمْ.

اَلْأَرْنَبُ الْحَكِيمُ:

- اَلْآنَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْتَبِهُوا! فَسَتَعْرِفُونَ رَبَّكُمُ الْكَرِيمَ جَيِّدًا.

ثُمَّ تَابَعَ حَدِيثَهُ قَائِلًا:

- بَيْنَمَا تُدَفِّئُ الشَّمْسُ الْكَوْنَ بِحَرَارَتِهَا وَضَوْئِهَا، فَهِيَ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ تُسَاعِدُ فِي نُضْجِ الثِّمَارِ.

اِسْتَمَعَ الْقُنْفُذُ إِلَى هَذَا الْحَدِيثِ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: ''كَمْ كَانَ هَذَا الْكَلَامُ مُقْنِعًا وَجَمِيلًا''، فَهُوَ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ مِنْ قَبْلُ أَنَّ الشَّمْسَ تُسَاعِدُ فِي نُضْجِ الثِّمَارِ، حَقًّا إِنَّ كُلَّ الْحَيَوَانَاتِ لَا تَحْتَاجُ

إِلَـى طَهْـيِ طَعَامِهَـا قَبْـلَ الْأَكْلِ، حَتَّـى إِنَّ الْإِنْسَـانَ يَـأْكُلُ كَثِيـرًا مِنَ الْأَطْعِمَةِ النَّاضِجَةِ الَّتِي لَا تَحْتَاجُ إِلَى طَهْيٍ.

اِسْـتَمَرَّ الْأَرْنَبُ الْحَكِيـمُ فِي الْقِرَاءَةِ، وَالْـكُلُّ يُنْصِتُ بِإِمْعَانٍ، إِلَى أَنْ حَلَّ الظَّلَامُ، فَقَالَ:

- لَقَدْ حَلَّ الظَّلَامُ، نَحْنُ نَشْتَاقُ كَثِيرًا إِلَى الْقِرَاءَةِ وَلَكِنْ يَكْفِي هَذَا الْقَدْرُ الْيَوْمَ.

اَلْحَمَامَةُ:

- إِذًا فَلْنُنْهِهِ بِالدُّعَاءِ.

- اَللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا فَضْلَكَ وَكَرَمَكَ يَا كَرِيمُ! يَا **اَللّٰهُ**!.

اَلْجَمِيعُ فِي صَوْتٍ وَاحِدٍ:

- آمِينَ.

رُبَّانَانِ لِسَفِينَةٍ وَاحِدَةٍ؟

بَعْدَمَا عَلَا صَوْتُ أَذَانِ الْعِشَاءِ فِي الْأُفُقِ، بَدَأَتِ الْكَائِنَاتُ الَّتِي تُدْرِكُ حَقِيقَةَ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ تَسْتَعِدُّ لِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَكَانَ الرَّبِيعُ قَدْ زَيَّنَ الْأَرْضَ بِجَمَالِهِ، وَحَمَلَ مَعَ نَسِيمِهِ رَوَائِحَ الزُّهُورِ الْمُتَفَتِّحَةِ، وَكَانَتِ الْأَشْجَارُ تَحْتَفِلُ بِأَفْضَلِ أَيَّامِهَا، وَالْحَشَرَاتُ تَتَغَنَّى بِكَلِمَاتِ الشُّكْرِ.

فَبِحُلُـولِ الْعِشَـاءِ يَمْضِـي يَـوْمٌ، وَيَبْدَأُ يَـوْمٌ جَدِيـدٌ، فَالْبَعْضُ يَنَـامُ، وَالْبَعْـضُ يَتَفَكَّرُ فِي مَلَكُـوتِ اللهِ، لَكِنَّ الْحَمَامَةَ لَمْ تَسْـتَطِعْ أَنْ تَنَـامَ؛ لِأَنَّهَا لَمْ تَسْـتَطِعِ الذَّهَابَ لِلْمُسَـامَرَةِ مَـعَ الْأَصْدِقَاءِ، فَقَدْ عَادَتْ مُتَأَخِّرَةً بِالْأَمْسِ؛ لِأَنَّهَا تَسَامَرَتْ مَعَ الْعُصْفُورِ نُغَيْرٍ وَالْوَرْدَةِ وَالدِّيكِ الْمُؤَذِّنِ، وَبَاقِي دَجَاجَاتِ الْخُمِّ، وَكَانَتْ مُعْظَمُ الْمُسَـامَرَةِ عَنِ الْحَمَامَةِ.

بَعْـدَ أَنْ أَدَّتِ الْحَمَامَـةُ صَلَاتَهَـا، صَعِدَتْ فَوْقَ سَـطْحِ مَنْزِلِ صَاحِبِهَا الطِّفْلِ الصَّغِيرِ؛ لِتُسَبِّحَ اللهَ ﷻ، فَالتَّسْبِيحُ مَعَ رُؤْيَةِ الْمَكَانِ مِـنْ أَعْلَى مُمْتِعٌ جِـدًّا، وَبَعْدَ أَنْ أَنْهَتْ تَسْـبِيحَاتِهَا تَفَقَّدَتِ الْمَكَانَ بِعَيْنَيْهَا، فَوَجَدَتِ الْجَمِيعَ نِيَامًا.

شَـعَرَتِ الْحَمَامَةُ بِالْمَلَلِ، وَنَظَرَتْ إِلَى السَّـمَاءِ، وَهِيَ تَتَلَأْلَأُ؛ فَالْمَجَرَّةُ وَمَا بِهَا مِنْ نُجُومٍ وَشُـهُبٍ وَقَمَرٍ تَعْرِضُ بَرِيقَهَا وَتَلَأْلُؤَهَا فِي صَفْحَةِ السَّمَاءِ.

إِنَّ الْأَرْنَـبَ الْحَكِيمَ قَدْ ذَكَرَ أَنَّ الْمَجَرَّةَ الْوَاحِدَةَ تَحْتَوِي عَلَى مِئَـاتِ الْمَلَايِينِ مِـنَ النُّجُومِ، فَهِيَ كَثِيرَةٌ جِـدًّا، وَكَبِيرَةٌ فِي الْحَجْمِ حَتَّـى إِنَّكَ لَـوْ قَارَنْتَ الْوَاحِـدَةَ مِنْهَا بِمِلْيُونِ كُـرَةٍ أَرْضِيَةٍ مَا كَفَى، وَنَحْـنُ كُنَّـا نَعْتَقِـدُ أَنَّ الْأَرْضَ كَبِيـرَةٌ وَالنُّجُـومَ صَغِيـرَةٌ، بَـلْ إِنَّنَا اعْتَقَدْنَاهَا أَصْغَرَ مِنَ الْقَمَرِ.
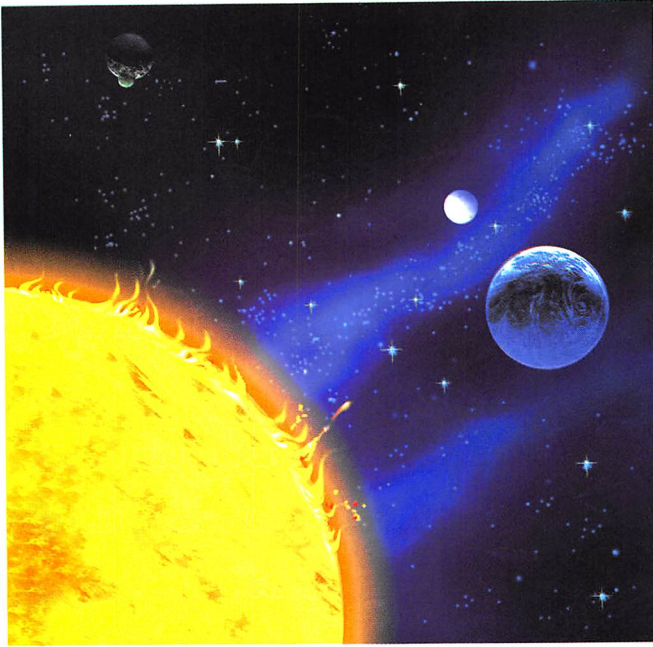
كَوْنٌ كَبِيرٌ جِدًّا كَهَذَا! يَا تُرَى كَمْ فِيهِ مِنَ الْأَجْسَامِ السَّمَاوِيَّةِ؟! مُقَارَنَـةً بِكُـرَةٍ أَرْضِيَّـةٍ صَغِيرَةٍ كَهَـذِهِ! إِنَّنَـا لَا نَسْـتَطِيعُ أَنْ نُحْصِيَ عَـدَدَ مَـا بِهَـا مِـنْ مَخْلُوقَـاتٍ، فَكَيْـفَ يُمْكِنُنَـا أَنْ نُحْصِـيَ عَـدَدَ الْأَجْسَـامِ فِـي الْكَـوْنِ؟! وَكَيْـفَ تَقِـفُ تِلْـكَ الْأَجْسَـامُ الْعِمْلَاقَـةُ فِي الْفَرَاغِ؟! وَلِمَاذَا لَا تَصْطَدِمُ هَذِهِ الْأَجْسَامُ الْعِمْلَاقَةُ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَعْدَادِهَا الْكَبِيرَةِ عِنْدَ سَيْرِهَا؟!.

كَانَـتْ هَذِهِ الْأَسْئِلَةُ تَجُولُ فِـي ذِهْنِ الْحَمَامَـةِ يَمَامَةَ، وَكُلَّمَا وَجَـدَتْ إِجَابَةً لِسُـؤَالٍ، قَابَلَهَا سُـؤَالٌ آخَرُ، وَتَفَكَّرَتْ فِي السَّـمَاءِ

وَمَا فِيهَا مِنْ أَجْسَامٍ؛ كَانَتِ الْأَجْسَامُ فِي السَّمَاءِ يَتَنَاقَشُ بُعْضُهَا بَعْضًا، وَيَبْدُو أَنَّ الْغِلَافَ الْجَوِّيَّ كَانَ حَزِينًا، وَهُوَ يَقُولُ:

- لَقَدْ سَئِمْتُ كَثِيرًا، فَإِنَّنِي أُحِيطُ بِالْأَرْضِ لِحِمَايَتِهَا مِنَ الْإِشْعَاعَاتِ الضَّارَّةِ مُنْذُ زَمَنٍ بَعِيدٍ، لَكِنَّ الْكَائِنَاتِ الَّتِي أَحْمِيهَا مِنْ هَذِهِ الْإِشْعَاعَاتِ لَا تَهْتَمُّ بِي، فَكَيْفَ كَانَتْ سَتَعِيشُ الْكَائِنَاتُ الْحَيَّةُ لَو لَمْ يَكُنْ بِدَاخِلِي تِلْكَ الْغَازَاتُ؟! وَكَيْفَ سَيَتَنَفَّسُونَ لَوْ غَيَّرْتُ مُعَدَّلَ الْغَازَاتِ بِدَاخِلِي؟!.

رَأَى الْقَمَرُ أَنَّ الْغِلَافَ الْجَوِّيَّ مُحِقٌّ فِيمَا قَالَ، فَقَالَ لَهُ:

- أَنْتَ عَلَى حَقٍّ فِيمَا تَقُولُ؛ فَالْبَشَرُ وَالْحَيَوَانَاتُ تَسْتَنْشِقُ الْأُكْسُجِينَ وَتُخْرِجُ ثَانِيَ أُكْسِيدِ الْكَرْبُونِ، وَالنَّبَاتَاتُ تُنْتِجُ الْأُكْسُجِينَ، وَمَهْمَا زَادَ عَدَدُ الْبَشَرِ وَالْحَيَوَانَاتِ وَالنَّبَاتَاتِ فَلَنْ يَتَأَثَّرَ غَازُكَ بِهَذَا، وَأَنَا أَعْلَمُ الْقَدْرَ الَّذِي تَبْذُلُهُ لِلْقِيَامِ بِهَذَا.

- هَذَا جَمِيلٌ، لَكِنَّنِي قَدْ سَئِمْتُ، لَنْ أُتْعِبَ نَفْسِي بَعْدَ الْآنَ فِي حِمَايَتِهِمْ.

- كَيْفَ هَذَا يَا أَخِي! بِهَذَا لَنْ يَسْتَطِيعَ أَيُّ كَائِنٍ أَنْ يَعِيشَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ.

- هَذَا أَمْرٌ لَا يُهِمُّنِي.

عِنْدَمَا سَـمِعَتِ الْحَمَامَةُ هَذَا الْكَلَامَ أُصِيبَتْ بِقَشْعَرِيرَةٍ، وَابْتَلَّ جَسَـدُهَا مِنْ كَثْرَةِ الْعَرَقِ، فَلَا بُدَّ وَأَنْ يَتَرَاجَعَ الْغِلَافُ الْجَوِّيُّ عَنْ فِكْرَتِهِ هَذِهِ، لَكِنَّهَا لَا تَسْتَطِيعُ التَّفَوُّهَ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ.

اَلْأَرْضُ:

- وَأَنَـا أَيْضًا سَـئِمْتُ كَثِيـرًا، فَأَنَا أَدُورُ حَوْلَ الشَّـمْسِ وَحَوْلَ مِحْوَرِي مُنْذُ مَلَايِينِ السِّنِينَ، وَلَا يَعْرِفُ أَحَدٌ كَمْ أُعَانِي كَثِيرًا! لِئَلَّا يَتَدَحْرَجَ مَنْ يَعِيشُـونَ عَلَيَّ يَمِينًا أَوْ يَسَـارًا عِنْدَ دَوَرَانِي، فَجَاذِبِيَّتِي هِيَ الَّتِي تُسَاعِدُنِي عَلَى هَذَا التَّوَازُنِ، وَلَوْ أَنَّهَا نَقَصَتْ قَلِيلًا لَسَقَطَتِ الْكَائِنَـاتُ مِنْ فَوْقِ ظَهْرِي إِلَى فَـرَاغِ الْكَوْنِ؛ فَالْمُحِيطَاتُ وَالْبِحَارُ وَالْجِبَـالُ وَالْأَنْهَارُ وَالْكَائِنَاتُ كَانَتْ سَـتَطِيرُ كُلُّهَـا فِي الْهَوَاءِ، وَلَوْ زَادَتِ الْجَاذِبِيَّةُ شَيْئًا قَلِيلًا لَمَا اسْتَطَاعَ أَحَدٌ أَنْ يَتَحَرَّكَ مِنْ مَكَانِهِ.

قَاطَعَ الْقَمَرُ كَلَامَ الْأَرْضِ:

- هَلِ الْكَائِنَاتُ الَّتِي عَلَى الْأَرْضِ لَا يَفْهَمُونَكِ أَيْضًا؟!.

- نَعَمْ، لَا يَفْهَمُونَنِي، فَهُمْ يَقُودُونَ السَّيَّارَةَ بِسُرْعَةٍ، ثُمَّ يَتَوَقَّفُونَ فَجْأَةً، فَيَصْطَدِمُونَ بِمَا أَمَامَهُمْ، أَمَّا أَنَا فَأَتَحَرَّكُ مُنْذُ مَلَايِينِ السِّنِينَ، وَلَمْ أَهْتَزَّ وَلَوْ لِمَرَّةٍ وَاحِدَةٍ، وَلَكِنَّنِي بَعْدَ ذَلِكَ لَنْ أَهْتَمَّ بِهِمْ، وَلْيَكُنْ مَا يَكُونُ!.

لَـمْ تَعْـرِفِ الْحَمَامَةُ كَيْفَ تَتَصَرَّفُ فِي هَـذَا الْمَوْقِفِ، أَرَادَتْ أَنْ تَتَوَسَّـلَ لِلْأَرْضِ، وَاسْـتَجْمَعَتْ قُوَاهَا لَكِنَّهَا لَمْ تَجْرُؤْ أَنْ تَتَفَوَّهَ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ؛ فَقَدْ تَأَثَّرَتْ كَثِيرًا بِمَا سَمِعَتْهُ.

تَدَخَّلَتِ الشَّمْسُ قَائِلَةً:

- وَأَنَـا أَيْضًـا أَنْشُـرُ حَرَارَتِـي وَضَوْئِي مُنْـذُ مَلَايِينِ السِّـنِينَ، فَأُوَفِّـرُ الطَّاقَـةَ الَّتِـي تَحْتَاجُهَا الْكَائِنَـاتُ الْحَيَّةُ عَلَـى الْأَرْضِ بِإِذْنِ اللهِ، فَلَـمْ أُطَالِبْهُـمْ بِثَمَنِ ذَلِكَ كُلِّهِ، فَهَلْ اسْـتَطَعْتُ إِرْضَاءَهُمْ؟ فَلَوِ اقْتَرَبْـتُ مِنْهُمْ قَلِيلًا، لَاحْتَرَقُوا مِنْ حَرَارَتِـي، وَلَوْ بَعُدْتُ لَتَجَمَّدُوا مِـنَ الْبُرُودَةِ، وَلَوِ اصْطَدَمْتُ بِمَنْ حَوْلِـي لَهَلَكُوا جَمِيعًا، مِنَ الْآنَ فَصَاعِدًا لَنْ أَهْتَمَّ بِعَمَلِي، وَلْيَكُنْ مَا يَكُونُ.

أَرَادَتِ الْحَمَامَـةُ أَنْ تُخْبِـرَ أَصْدِقَاءَهَـا بِمَـا سَـمِعَتْ، فَلَرُبَّمَـا اسْـتَطَاعُوا إِقْنَاعَهُـمْ، وَفَتَحَتِ الْحَمَامَةُ جَنَاحَيْهَا لَكِنَّهَا لَمْ تَسْـتَطِعِ التَّحْلِيقَ، وَأَخَذَتْ تُرَفْرِفُ وَتُحَاوِلُ لَكِنْ لَمْ تَسْتَطِعِ الطَّيَرَانَ.

اَلْحَمَامَةُ فِي نَفْسِهَا:

- هَذَا يَعْنِي أَنَّ الْقِيَامَةَ سَـتَقُومُ، عَلَيَّ أَنْ أُخْبِرَ أَصْدِقَائِي، لَكِنْ كَيْفَ؟!.

بَدَا هُنَاكَ اضْطِرَابٌ فِي السَّـمَاءِ، فَالْأَرْضُ تَدُورُ بِسُـرْعَةٍ جِدًّا، وَالشَّـمْسُ تَتَخَبَّطُ يَمِينًا وَيَسَارًا، وَاخْتَلَطَتْ كُلُّ الْأَجْسَامِ السَّمَاوِيَّةِ

بِبَعْضِهَـا الْبَعْضِ، وَفَاضَتْ مِيَـاهُ الْمُحِيطَاتِ وَالْبِحَارِ وَالأَنْهَارِ يَمْنَةً وَيَسْـرَةً، وَطَـارَتِ الْكَائِنَـاتُ كُلُّهَـا مَـعَ الرِّيَـاحِ الْقَوِيَّـةِ، وَحَاوَلَتِ الْحَمَامَةُ الْهَرَبَ، لَكِنَّهَا فَشِلَتْ، فَتَأَوَّهَتْ:

- آآآه.

وَعِنْدَمَا فَتَحَتْ عَيْنَيْهَا، وَجَدَتْ نَفْسَـهَا فِـي حَدِيقَةٍ، وَتَأَكَّدَتْ مِـنْ سَـلَامَتِهَا، فَلَيْـسَ بِهَا أَيُّ شَـيْءٍ، وَنَظَـرَتْ حَوْلَهَا فَـرَأَتْ خُمَّ الدَّجَاجِ وَالْمَنَازِلَ وَالْحَدِيقَةَ وَكُلَّ شَيْءٍ كَمَا هُوَ، فَقَالَتْ:

- أَحْمَدُكَ يَا اَللهُ! هَذَا لَيْسَ بِحَقِيقَةٍ، لَقَدْ كَانَ كَابُوسًا.

وَلَكِـنْ مَـعَ ذَلِكَ لَمْ تُصَدِّقِ الْحَمَامَةُ أَنَّ مَا رَأَتْهُ كَانَ كَابُوسًـا، فَنَظَرَتْ إِلَى السَّمَاءِ فَوَجَدَتِ الْقَمَرَ يَبْتَسِمُ، وَالنُّجُومَ وَالشُّهُبَ كُلَّهَا فِي مَكَانِهَا، وَفَجْأَةً سَمِعَتِ الْحَمَامَةُ صَوْتًا يَقُولُ:

- إِنَّكِ لَمْ تَنَامِي! أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟!.

نَظَرَتِ الْحَمَامَةُ حَوْلَهَا فَلَمْ تَجِدْ أَحَدًا.

- لَا تَخَافِي، إِنَّهُ أَنَا.

نَظَرَتِ الْحَمَامَةُ إِلَى الأَعْلَى فَإِذَا هُوَ الْقَمَرُ، سَأَلَ الْحَمَامَةَ:

- هَـلْ أَنْتِ مَرِيضَةٌ؟ إِنَّكِ تَتَأَوَّهِينَ مُنْذُ سَـاعَاتٍ، وَقَدْ عَرِقْتِ كَثِيرًا!.

- لَا، لَسْتُ مَرِيضَةً، بَلْ رَأَيْتُ كَابُوسًا.

- خَيْرًا إِنْ شَاءَ **اللهُ**، هَلَّا حَكَيْتِ لِي مَا رَأَيْتِ؟!.

- لَقَدْ حَاوَلْتُ النَّوْمَ كَثِيرًا، لَكِنَّنِي لَمْ أَسْتَطِعْ، نَظَرْتُ إِلَى السَّمَاءِ، وَأَخَذْتُ أَتَفَكَّرُ فِي خَلْقِ **اللهِ** فَغَلَبَنِي النَّوْمُ.

وَقَصَّتِ الْحَمَامَةُ مَا رَأَتْهُ بِالتَّفْصِيلِ، وَكُلَّمَا حَكَتِ الْحَمَامَةُ اِبْتَسَمَ الْقَمَرُ، وَازْدَادَ جَمَالُهُ أَكْثَرَ، ثُمَّ صَعِدَتِ الْحَمَامَةُ عَلَى السَّطْحِ ثَانِيَةً، وَقَالَتْ:

- مَاذَا فَهِمْتَ مِنْ هَذَا الْكَابُوسِ، أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَشْرَحَ لِي؟!.

- بِالطَّبْعِ، إِنَّ كُلَّ الْكَائِنَاتِ يَتَحَكَّمُ فِيهَا وَاحِدٌ قَادِرٌ.

- لَا أَفْهَمُ مَا تَقُولُ.

- أَقْصِدُ، أَنَّ هُنَاكَ وَاحِدٌ يَتَحَكَّمُ بِكُلِّ شَيْءٍ، هُوَ **اللهُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ**، الَّذِي مِنْ أَسْمَائِهِ "**الْفَرْدُ**"، فَنَحْنُ عِنْدَمَا نُسَبِّحُهُ نَقُولُ: "**يَا فَرْدُ! يَا اَللهُ!**".

ثُمَّ نَظَرَ الْقَمَرُ إِلَى أَعْمَاقِ السَّمَاءِ بِإِمْعَانٍ، وَقَالَ:

- لَوْ نَعْرِفُ مَا وَرَاءَ هَذَا الْفَرَاغِ، كُلُّ شَيْءٍ يَمْلَؤُهُ الْغُمُوضُ، فَلَيْسَ لِعَقْلِنَا الصَّغِيرِ الْقُدْرَةُ عَلَى اسْتِيعَابِ هَذَا وَفَهْمِهِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ حَاكِمٌ وَاحِدٌ لِكُلِّ الْكَوْنِ، لَكَانَ كُلُّ شَيْءٍ كَمَا رَأَيْتِ فِي نَوْمِكِ، الْكُلُّ يَقُولُ وَيَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَيَتَحَرَّكُ كَمَا يَشَاءُ، فَيَكُونُ بِذَلِكَ الدَّمَارُ.

تَذَكَّرَتِ الْحَمَامَةُ الْكَابُوسَ، فَتَصَبَّبَتْ عَرَقًا، مَاذَا قَالَتِ الْأَرْضُ وَالْغِلَافُ الْجَوِّيُّ وَالشَّمْسُ؟! مَاذَا سَيَحْدُثُ لَوْ كَانَ لَهُمُ الْقُدْرَةُ عَلَى أَنْ يُقَرِّرُوا وَيَتَصَرَّفُوا مِنْ تِلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ؟! لَمْ تَرْغَبِ الْحَمَامَةُ حَتَّى فِي التَّفْكِيرِ فِي هَذَا.

اَلْقَمَرُ:

- لَقَدْ أَخْبَرْتُكِ بِأَنَّ هَذَا الْكَوْنَ مَلِيءٌ بِالْغُمُوضِ، فَهُوَ فَضَاءٌ مَلِيءٌ بِالْمَلَايِينِ مِنَ الْأَجْسَامِ الضَّخْمَةِ وَالصَّغِيرَةِ، مَاذَا تَفْعَلُ تِلْكَ الْأَجْسَامُ؟! وَمَا الْفَائِدَةُ مِنْهَا؟! لَيْسَ مِنَ الْمُمْكِنِ فَهْمُ ذَلِكَ، وَبِالتَّأْكِيدِ إِنَّهَا لَمْ تُخْلَقْ عَبَثًا، فَبَيْنَ تِلْكَ الْأَجْسَامِ مَقَايِيسُ وَأَبْعَادٌ ثَابِتَةٌ، وَلَا بُدَّ مِنْ وُجُودِ مَنْ يَقُومُ بِضَبْطِ تِلْكَ الْمَقَايِيسِ، وَهُوَ **اللهُ** تَعَالَى "**الْفَرْدُ**"، إِنَّهُ سُبْحَانَهُ الَّذِي خَلَقَ الْكَوْنَ لِغَايَةٍ مَعْلُومَةٍ، بِتَنَاسُقٍ دَقِيقٍ، وَتَنَاسُبٍ وَتَوَازُنٍ يَدُلُّ عَلَى قُدْرَتِهِ تَعَالَى.

كَانَتْ عَيْنَا الْحَمَامَةِ تُغْلَقَانِ أَحْيَانًا، لَكِنَّهَا مَا زَالَتْ تَسْتَمْتِعُ بِحَدِيثِ الْقَمَرِ، فَهِيَ لَا تُرِيدُ أَنْ تَنَامَ، لِئَلَّا تَرَى هَذَا الْكَابُوسَ مَرَّةً ثَانِيَةً، وَأَحَسَّ الْقَمَرُ بِمَا تَشْعُرُ بِهِ الْحَمَامَةُ، فَقَالَ لَهَا:

- سَمِّي **اللهَ**، ثُمَّ نَامِي، فَالْوَقْتُ أَصْبَحَ مُتَأَخِّرًا جِدًّا.

مَا زَالَتْ هُنَاكَ أَسْئِلَةٌ تُرَاوِدُ ذِهْنَ الْحَمَامَةِ، لَكِنَّهَا لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَتَحَمَّلَ النُّعَاسَ، فَغَاصَتْ فِي النَّوْمِ، وَقَدْ فَتَحَتِ الْحَمَامَةُ عَيْنَيْهَا

مَـعَ أَذانِ الْفَجْـرِ، فَـكَانَ صَـدَى الْأَذَانِ "**اَللّٰهُ أَكْبَرُ، اَللّٰهُ أَكْبَـرُ**" كَأَنَّهُ جَـوَابٌ عَلَى الْأَسْـئِلَةِ الَّتِـي حَيَّرَتْهَا، بَعْـدَ انْتِهَـاءِ الْأَذَانِ دَعَتِ **اللّٰهَ** تَعَالَى وَشَكَرَتْهُ عَلَى نِعَمِهِ قَائِلَةً:

- اَلْحَمْدُ لَكَ يَا رَبُّ! إِنَّكَ وَاحِدٌ أَحَدٌ فَرْدٌ صَمَدٌ.

ثُـمَّ طَلَعَتِ الشَّـمْسُ مِنْ وَرَاءِ التَّلِّ، وَكَانَـتِ الْوَرْدَةُ تَنْظُرُ يُمْنَةً وَيُسْرَةً، وَيَبْدُو أَنَّهَا تَنْتَظِرُ الْبُلْبُلَ، وَكَانَ الدِّيكُ الْمُؤَذِّنُ يَجْرِي يَمِينًا وَيَسَـارًا، وَالدَّجَاجَـةُ تُطْعِـمُ صِغَارَهَـا، وَكَانَ الطِّفْـلُ الصَّغِيرُ يَنْظُرُ مِنْ نَافِذَةِ مَنْزِلِهِ، بَاحِثًا عَنِ الْحَمَامَةِ، وَالْقَلَقُ يَبْدُو عَلَيْهِ.

قَضَـتِ الْحَمَامَـةُ مُعْظَـمَ لَيْلِهَا دُونَ نَوْمٍ، وَلَمَّا شَـعَرَتْ بِدِفْءِ الشَّـمْسِ أَحَسَّـتْ بِاسْـتِرْخَاءٍ؛ فَجِفْنَاهَا يُرِيدَانِ أَنْ يَنْغَلِقَـانِ، لَكِنَّهَا كَانَـتْ تُحَاوِلُ أَلَّا تُغْلِـقَ عَيْنَيْهَا؛ لِأَنَّهَا لَوْ أَغْلَقَتْهُمَا لَنَامَتْ، وَوَقْتُ شُـرُوقِ الشَّـمْسِ هَذَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ وَقْـتُ الْكَرَاهَةِ، وَالنَّـوْمِ فِي هَذَا الْوَقْتِ مَكْرُوهٌ، وَالْمَكْرُوهُ يُعَدُّ قَرِيبًا مِنَ الْحَرَامِ.

إِنَّهَـا لَـمْ تَنَمْ فِـي حَيَاتِهَا فِـي هَذَا الْوَقْـتِ وَلَوْ لِمَـرَّةٍ وَاحِدَةٍ، وَلِذَلِكَ قَالَتْ:

- مِـنَ الْأَفْضَـلِ أَنْ أَذْهَـبَ إِلَى الطِّفْلِ الصَّغِيرِ، حَتَّى أَنْشَـغِلَ بِأَيِّ شَيْءٍ.

نَزَلَتِ الْحَمَامَةُ مِنْ فَوْقِ السَّقْفِ إِلَى أَعْلَى خُمِّ الدَّجَاجِ.

اَلطِّفْلُ الصَّغِيرُ:

- نَعَمْ، هَا هِيَ!.

ثُمَّ جَرَى نَحْوَهَا.

- إِنَّنِي أَبْحَثُ عَنْكِ مُنْذُ أَيَّامٍ! أَيْنَ أَنْتِ؟!.

كَانَتِ الْحَمَامَةُ قَدْ تَرَكَتِ الْمَزْرَعَةَ مُنْذُ بِدَايَةِ الرَّبِيعِ، وَكَانَتْ تَمُرُّ عَلَيْهِمْ فِي الْمَسَاءِ فَقَطْ، جَاءَتْ فِي الْيَوْمِ السَّابِقِ إِلَى الْمَزْرَعَةِ، لَكِنَّ الطِّفْلَ الصَّغِيرَ لَمْ يَكُنْ مَوْجُودًا فِي الْمَزْرَعَةِ، وَالْحَمَامَةُ كَانَتْ مُشْتَاقَةً إِلَيْهِ كَثِيرًا؛ لِذَلِكَ ابْتَسَمَتْ لَهُ، ثُمَّ حَطَّتْ عَلَى كَتِفِهِ.

مَسَحَ الطِّفْلُ الصَّغِيرُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى عَلَى ظَهْرِ الْحَمَامَةِ، وَأَطْعَمَهَا، وَظَلَّا مَعًا بَعْضَ الْوَقْتِ، ثُمَّ تَرَكَهَا الطِّفْلُ لِيَتَنَاوَلَ فُطُورَهُ مَعَ أُسْرَتِهِ، فَسَيَذْهَبُ إِلَى الْمَدْرَسَةِ بَعْدَ قَلِيلٍ، وَذَهَبَتِ الْحَمَامَةُ إِلَى عُشِّهَا لِكَي تَنَامَ قَلِيلًا.

نَامَتِ الْحَمَامَةُ مَا يَقْرُبُ مِنْ سَاعَةٍ، وَعِنْدَمَا اسْتَيْقَظَتْ وَفَتَحَتْ عَيْنَيْهَا، رَأَتِ الْعُصْفُورَ نُغَيْرًا أَمَامَهَا، ثُمَّ مَسَحَتِ الْحَمَامَةُ النَّوْمَ عَنْ عَيْنَيْهَا، وَقَالَتْ:

- مَعْذِرَةً، لَقَدِ انْتَظَرْتَنِي كَثِيرًا أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟!.

- كَلَّا، لَقَدْ جِئْتُ الْآنَ.

- هَلْ تَنَاوَلْتَ فُطُورَكَ؟.

- وَهَلْ تَدَعُنِي أُمِّي أَنْ أَخْرُجَ دُونَ إِفْطَارٍ؟!.

كَمْ هُوَ جَمِيلٌ أَنْ تَكُونَ لَنَا أُمٌّ! لَكِنَّ الْحَمَامَةَ فَقَدَتْ أَبَاهَا وَأُمَّهَا وَهِيَ صَغِيرَةٌ، وَلَا أَحَدَ مِثْلَهَا يَعْرِفُ مَعْنَى فَقْدِ الْأَبِ وَالْأُمِّ، إِنَّهَا دَائِمًا تَتَأَلَّمُ مِنْ فَقْدِهِمَا وَتَشْتَاقُ إِلَيْهِمَا، وَكُلَّمَا تَذَكَّرَتْهُمَا دَعَتْ لَهُمَا.

اَلْعُصْفُورُ نُغَيْرٌ:

- مَاذَا سَنَفْعَلُ الْيَوْمَ؟! إِنَّكِ لَمْ تَأْتِي إِلَى الدَّرْسِ بِالْأَمْسِ، وَالْأَصْدِقَاءُ قَلِقُونَ عَلَيْكِ.

- هَلْ سَتَجْتَمِعُونَ الْيَوْمَ؟.

- نَعَمْ، سَنَجْتَمِعُ كُلُّنَا إِنْ شَاءَ **اللهُ** بِجِوَارِ الصَّنَوْبَرَةِ الصَّغِيرَةِ، ثُمَّ نَسْتَأْذِنُ مِنْهَا بَعْدَ ذَلِكَ، وَسَنَذْهَبُ إِلَى الْبُحَيْرَةِ.

فَرِحَتِ الْحَمَامَةُ، وَقَالَتْ:

- حَسَنًا، هَيَّا! فَلْنَذْهَبْ عَلَى الْفَوْرِ.

- هَلْ أَمُرُّ عَلَى الْمَزْرَعَةِ وَأُسَلِّمُ عَلَى مَنْ فِيهَا؟.

- إِنَّهُمُ الْآنَ مَشْغُولُونَ، وَمِنَ الْأَفْضَلِ أَلَّا نُقْلِقَهُمْ.

كَانَ الْهَوَاءُ لَطِيفًا، وَالزُّهُورُ الْمُخْتَلِفَةُ الْأَلْوَانِ مُتَفَتِّحَةٌ، وَكَأَنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا تُسَابِقُ الْأُخْرَى فِي جَمَالِهَا، وَالْأَشْجَارُ مَلِيئَةٌ بِالْأَوْرَاقِ الْخَضْرَاءِ النَّضِرَةِ، وَالْجَدَاوِلُ تَتَدَفَّقُ بِالْمِيَاهِ الصَّافِيَةِ،

وَالْفَرَاشَاتُ تَطِيرُ بِلُطْفٍ، وَالْحَشَرَاتُ تَتَسَابَقُ، وَالنَّمْلُ يَسْتَعِدُّ لِمَوْسِمِ الشِّتَاءِ مِنَ الآنِ.

بَدَا الْمَكَانُ مِنَ أَعْلَى جَمِيلًا، حَتَّى إِنَّكَ لَوْ بَقِيتَ كُلَّ الْيَوْمِ تَنْظُرُ إِلَى هَذَا الْمَنْظَرِ الرَّائِعِ فَلَنْ تَمَلَّ مِنْهُ، وَتَذَكَّرَتِ الْحَمَامَةُ الْكَابُوسَ الَّذِي رَأَتْهُ وَكَلَامَ الْقَمَرِ مَعَهَا، وَفَهِمَتْ أَنَّ مَنْظَرًا بَدِيعًا كَهَذَا نَرَاهُ

بِأَعْيُنِنَا، مَا هُوَ إِلَّا دَلِيلٌ عَلَى قُدْرَةِ **اللهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ الْفَرْدِ الصَّمَدِ**، فَكَلِمَةُ **الْوَاحِدِ الْأَحَدِ الْفَرْدِ الصَّمَدِ** كُلُّهَا تَحْمِل مَعْنًى وَاحِدًا.

نَظَرَ الْعُصْفُورُ نُغَيْرٌ إِلَى الْحَمَامَةِ، وَقَالَ:

- فِيمَا تُفَكِّرِينَ؟! إِنَّنِي أَرَاكِ مَشْغُولَةَ الْبَالِ!.

- إِنَّنِي رَأَيْتُ كَابُوسًا بِالْأَمْسِ، وَمَا زِلْتُ أَتَذَكَّرُهُ.

- هَلْ يُمْكِنُكِ أَنْ تَحْكِيهِ لِي؟!.

- إِنْ لَمْ تَمَلَّ، فَسَأَحْكِيهِ لَكَ.

- وَلِمَاذَا أَمَلُّ؟! لِنَسْتَغِلَّ وَقْتَنَا.

وَحَكَتِ الْحَمَامَةُ لِلْعُصْفُورِ نُغَيْرٍ مَا رَأَتْهُ بِالتَّفْصِيلِ، فَقَالَ:

- يَا لَهُ مِنْ كَابُوسٍ عَجِيبٍ!.

تَأَثَّرَ الْعُصْفُورُ بِمَا سَمِعَهُ كَثِيرًا، وَقَالَ:

- إِنَّ مَا رَأَيْتِهِ مَلِيءٌ بِالتَّنْبِيهَاتِ، وَعِنْدَمَا نَصِلُ إِلَى أَصْدِقَائِنَا سَنَقُصُّهَا عَلَيْهِمْ؛ لِيَفْهَمُوا مَعْنَى اسْمِ **اللهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ الْفَرْدِ الصَّمَدِ**.

- هَلْ تَعْتَقِدُ أَنَّ تِلْكَ الْأَسْمَاءَ لَهَا مَعْنًى وَاحِدٌ؟!.

- بَيْنَمَا كُنْتِ غَائِبَةً بِالْأَمْسِ، حَكَى لَنَا الْأَرْنَبُ أَنَّ بَعْضَ أَسْمَاءِ **اللهِ** تَعَالَى مُتَشَابِهَةٌ فِي الْمَعْنَى.

- طَالَمَـا أَنَّهَـا مُتَشَـابِهَةٌ فِـي الْمَعْنَـى، فَلِـمَ تُكْتَـبُ بِأَشْـكَالٍ مُخْتَلِفَةٍ؟!.

- إِنَّ تِلْـكَ الْكَلِمَـاتِ مُتَشَـابِهَةٌ، لَكِنْ لَا نُنْكِـرُ أَنَّ بَيْنَهَا فُرُوقًا بَسِيطَةً فِي الْمَعْنَى، وَأَنَّهَا مُهِمَّةٌ.

وَلَكِنَّ الْأَرْنَبَ الْحَكِيمَ قَالَ لَنَا:

- لَا دَاعِيَ لِلتَّعَمُّقِ فِيهَا، وَعِنْدَمَا نَكْبُرُ سَنَبْحَثُ عَنْهَا، فَمُلَخَّصُ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ هُوَ **الْوَاحِدُ** الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.

- هَلْ تَتَذَكَّرُ مَا قَصَّهُ الْأَرْنَبُ الْحَكِيمُ عَلَيْكُم؟.

- أَنَا أَحْفَظُهُ كُلَّهُ بِالْحَرْفِ الْوَاحِدِ.

- هَلَّا حَكَيْتَ لِي ذَلِكَ؛ فَطَرِيقُنَا طَوِيلٌ جِدًّا.

وَبَدَأَ الْعُصْفُورُ نُغَيْرٌ يَسْتَجْمِعُ ذَاكِرَتَهُ.

اَلْحَمَامَةُ:

- هَـلْ يُمْكِنُكَ تَوْضِيحَ كُلِّ اسْـمٍ عَلَى حِـدَةٍ مِنْ خِلَالِ جُمْلَةٍ وَاحِدَةٍ.

وَبِنَاءً عَلَى طَلَبِهَا، ذَهَبَ الْعُصْفُورُ نُغَيْرٌ يُبَيِّنُ لَهَا مَعْنَى كُلِّ اسْمٍ مِنْهَا بِجُمْلَةٍ وَاحِدَةٍ.

- **اَللّٰهُ** تَعَالَـى وَاحِـدٌ فِي ذَاتِـهِ، وَالْمِثَالُ عَلَى ذَلِـكَ؛ أَنَّ النَّجَّارَ الَّذِي صَنَعَ الْكُرْسِيَّ لَا يُشْبِهُ الْكُرْسِيَّ الَّذِي صَنَعَهُ.

ثُمَّ قَالَ:

- اَللّٰهُ تَعَالَـى وَاحِـدٌ فِـي شُـؤُونِهِ: أَيْ إِنَّـهُ تَعَالَى لَيْـسَ بِحَاجَةٍ لِلْمُسَاعَدَةِ مِنْ أَحَدٍ فِي خَلْقِ الْكَائِنَاتِ وَحُكْمِهَا وَالتَّصَرُّفِ فِي أَمْرِهَا.

كَانَـتِ الْحَمَامَةُ تُقَارِنُ بَيْنَ مَا تَسْـمَعُهُ وَمَا رَأَتْهُ فِي الْكَابُوسِ، فَهَذِهِ الْكَلِمَاتُ إِجَابَاتٌ بَيِّنَةٌ عَلَى كُلِّ مَا تَرَدَّدَ فِي ذِهْنِهَا مِنْ أَسْئِلَةٍ.

وَتَابَعَ الْعُصْفُورُ نُغَيْرٌ حَدِيثَهُ:

- اَللّٰهُ تَعَالَى وَاحِدٌ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ؛ فَأَسْمَاؤُهُ هَذِهِ لَا تَنْطَبِقُ عَلَى أَحَدٍ غَيْرِهِ بِمَعْنَاهَا الْحَقِيقِي.

- اَللّٰهُ تَعَالَـى وَاحِـدٌ فِي حُكْمِهِ؛ هُوَ وَحْـدَهُ يَحْكُمُ خَلْقَهُ، وَلَا يُشَارِكُهُ فِي ذَلِكَ أَحَدٌ.

اَلْحَمَامَةُ مُؤَكِّدَةً كَلَامَ الْعُصْفُورِ:

- بَلْ إِنَّ وَرَقَةَ الشَّجَرِ لَا تَتَحَرَّكُ إِلَّا بِإِرَادَتِهِ تَعَالَى.

ثُمَّ رَفْرَفَتِ الْحَمَامَةُ بِجَنَاحَيْهَا، وَاسْتَمَرَّتْ فِي حَدِيثِهَا قَائِلَةً:

- لَوْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ حَاكِمٌ وَاحِدٌ لِكُلِّ الْكَائِنَاتِ، لَتَحَرَّكَتْ كَمَا تَهْوَى، وَلَاخْتَلَّ نِظَامُهَا، وَلَكَانَتِ النَّتِيجَةُ كَمَا رَأَيْتُ فِي الْكَابُوسِ، فَالْأَجْسَـامُ السَّـمَاوِيَّةُ تُرِيدُ أَنْ تَقِـفَ فِي الْمَكَانِ الَّـذِي يَحْلُو لَهَا، وَأَنْ تَتَحَرَّكَ وَتَدُورَ كَمَا تَشَـاءُ، وَالشَّـمْسُ تَرْغَبُ فِي الْخُرُوجِ عَنْ مَدَارِهَا، وَالْأَرْضُ يَحْلُو لَهَا أَنْ تَنْفَصِلَ عَنِ الْمَجْمُوعَةِ الشَّمْسِـيَّةِ،

وَالْأَشْـجَارُ تتَمَنَّى حَجْمًا أَكْبَرَ مِمَّا هِـيَ عَلَيْهِ، وَالطُّيُورُ تَوَدُّ الْعَيْشَ فِي الْمِيَاهِ، وَالْأَسْمَاكُ تَحْلُمُ بِالْعَيْشِ عَلَى الْيَابِسَةِ.

اِبْتَسَمَ الْعُصْفُورُ، وَقَالَ:

- نَعَـمْ، كُلُّ كَائِـنٍ يُرِيـدُ أَنْ يَفْعَلَ مَا يَحْلُو لَـهُ، فَأَنَا مَثَلًا كُنْتُ أُرِيـدُ الْعَيْـشَ فِي قَاعِ الْبَحْـرِ، وَحَاوَلْتُ فِعْلَ ذَلِـكَ، وَلَكِنَّنِي وَبَعْدَ ثَلَاثِ دَقَائِقَ فَحَسْبُ أَحْسَسْتُ بِالْاِخْتِنَاقِ تَحْتَ الْمَاءِ.

اِقْتَرَبَتِ الْحَمَامَةُ وَالْعُصْفُورُ مِنَ التَّلِّ، فَرَأَيَا الصَّنَوْبَرَةَ الصَّغِيرَةَ وَحَوْلَهَا جَمْعٌ كَبِيرٌ.

وَقَالَتِ الْحَمَامَةُ وَهِيَ تَنْزِلُ إِلَى أَسْفَلَ:

- نَعَمْ يَكْفِي هَذَا التَّفَكُّرُ، مَا فِي الْكَوْنِ مِنِ انْتِظَامٍ وَتَنَاسُقٍ لَا بُدَّ وَأَنْ يَكُونَ بِيَدِ قَادِرٍ وَاحِدٍ، وَكُلُّ كَائِنٍ لَابُدَّ وَأَنْ يَتَوَكَّلَ عَلَى وَاحِدٍ مُطْلَقِ الْقُدْرَةِ، فَالْعَاجِزُ وَالْمُحْتَاجُ لِغَيْرِهِ لَنْ يَقْدِرَ عَلَى حِمَايَةِ غَيْرِهِ.

اَلْحَمَامَةُ بِصَوْتٍ مُنْخَفِضٍ بَعْضَ الشَّيْءِ:

- إِذًا لَا بُدَّ لِإِدَارَةِ هَذَا الْكَوْنِ الْكَبِيرِ مِنْ وُجُودِ وَاحِدٍ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، .

وَسَأَلَهَا الْعُصْفُورُ نُغَيْرٌ:

- مَاذَا قُلْتِ؟!.

- كُنْتُ أُفَكِّرُ فِيمَا قُلْتَهُ، نَعَمْ، لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ اللّٰهُ وَاحِدًا أَحَدًا فَرْدًا صَمَدًا.

أَرَادَ الْعُصْفُورُ أَنْ يُذَكِّرَهَا بِاسْمٍ آخَرٍ، فَقَالَ:

- هُوَ الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَلَا نِدَّ لَهُ، فَهُوَ الْوِتْرُ.

وَتَذَكَّرَتِ الْحَمَامَةُ هَذَا الِاسْمَ قَائِلَةً:

- أَنْتَ الْمُتَعَالُ يَا وِتْرُ! يَا مَنْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ!.

نَظَـرَ الْعُصْفُـورُ نُغَيْرٌ بِإِمْعَانٍ إِلَى أَسْـفَلَ، حَتَّى إِنَّـهُ لَفَتَ انْتِبَاهَ الْحَمَامَةِ فَسَأَلَتْهُ:

- خَيْرًا إِنْ شَاءَ **اللهُ**! هَلْ رَأَيْتَ شَيْئًا أَسْفَلَ؟!.

دَقَّقَ الْعُصْفُورُ نُغَيْرٌ النَّظَرَ أَكْثَرَ، وَقَالَ:

- أُنْظُرِي إِلَى حَافَةِ هَذَا الْجَدْوَلِ! كَأَنَّ هُنَاكَ شِجَارًا!.

- فَلْنَنْزِلْ وَنَتَأَكَّدْ.

اِقْتَرَبَا مِنَ أَسْـفَلَ، فَإِذَا ثَعَالِبُ تَتَشَاجَرُ فِيمَا بَيْنَهَا، يَقُولُ أَحَدُهَا لِلآخَرَ:

- أَنَـا قَائِـدُ هَـذَا الْمَكَانِ، وَأَنَـا صَاحِبُ الْكَلِمَةِ هُنَـا، وَأَنَا مَنْ سَيَحْكُمُ هَذَا الْمَكَانَ.

وَيَقُولُ الْآخَرُ:

- لَا، بَلْ أَنَا صَاحِبُ الْكَلِمَةِ هُنَا.

وَقَدْ انْقَسَـمَتْ بَاقِـي الثَّعَالِبِ إِلَى مَجْمُوعَتَيْـنِ، كُلُّ مَجْمُوعَةٍ تَقِفُ بِجَانِبِ قَائِدِهَا، ثُمَّ بَدَأَ الشِّجَارُ بَيْنَهَا.

اَلْحَمَامَةُ:

- لِنَذْهَـبْ، إِنَّ الْأَمْرَ سَـيَكْبُرُ، فَكَمَا يَقُـولُ الْمَثَلُ: "لَا يُمْكِنُ لِسَفِينَةٍ وَاحِدَةٍ أَنْ تَسَعَ رُبَّانَيْنِ".

اَلْعُصْفُورُ نُغَيْرٌ ضَاحِكًا:

- سُبْحَانَ **اللهِ** لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ رَئِيسَانِ لِدَوْلَةٍ وَاحِدَةٍ، وَلَا رُبَّانَانِ لِسَفِينَةٍ وَاحِدَةٍ، إِذًا **مَالِكُ الْمُلْكِ وَالْمَلَكُوتِ** هُوَ رَبُّنَا **اللهُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ.**

ثُمَّ ذَهَبَ الْعُصْفُورُ وَالْحَمَامَةُ إِلَى الثَّعْلَبِ الرَّمَادِيِّ، وَحَكَيَا لَهُ مَا رَأَيَاهُ قَبْلَ قَلِيلٍ.

فَقَالَ الثَّعْلَبُ الرَّمَادِيُّ:

- إِنَّهُمَا لَا يَلِيقَانِ بِتَوَلِّي الرِّئَاسَةِ، بَلْ أَنَا أَوْلَى مِنْهُمَا.

ثُمَّ تَوَقَّفَ قَلِيلًا، قَالَ مُبْتَسِمًا:

- إِنَّ الْأَفْضَلَ أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الثَّلَاثَةُ قَادَةً، وَنَتَشَاجَرَ حَتَّى نَشْبَعَ مِنَ الشِّجَارِ.

فَهِمَ الْجَمِيعُ هَذِهِ الْفُكَاهَةَ، وَضَحِكُوا مِنْهَا؛ وَقَالُوا فِي نَفَسٍ وَاحِدٍ: إِنَّ الْوَحْدَانِيَّةَ وَالصَّمَدَانِيَّةَ صِفَاتٌ خَاصَةٌ **بِاللهِ** تَعَالَى، تَلِيقُ بِهِ هُوَ فَحَسْبُ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ملاحظاتي حول الكتاب

قصص مكارم الأخلاق

بركة السنابل